شواهد الجلَّة والأعيان

في مشاهد الإسلام والبلدان [٥٦٢]

لجامعه أبي بكر ابن العربي

---

(٥٦٢) وردت صيغة هذا العنوان في متن المخطوط بنسختيه: ك، د، وعند الأساتذة حسين مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، ط ١، مدريد، ١٣٨٦/١٩٦٧، ٤٠٠، ٤٠٥-٤٠٧، ومحمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، الدار البيضاء، ١٩٨٢، ٢٥/١، وسعيد أعراب، مع القاضي أبي بكر بن العربي، بيروت، ١٤٠٧، ١٩٨٧؛ وهو عند الأستاذة عصمت دندش: "رسائل ابن العربي والتي تسمى برحلة أبي بكر بن العربي"، التي نشرتها في مجلة المناهل، وزارة الثقافة، بالرباط، العدد التاسع، السنة الرابعة، (يوليوز، ١٩٧٧)، ١٤٩-١٩١، ثم أعادت نشرها، تقديما ونصا، ملحقة، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ط ١، لبنان، ١٩٨٨، ونقلت ما نشرته في الموضعين عن نسخة خ. ع. بالرباط، رقم د ٢٠١٠/٢، وقد اعتمدنا نشرتها الأولى بمجلة المناهل. وسنشير إليها في الإحالة باسم: دندش، ووردت عند الأستاذ أ.م. العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، ن. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٢، ٤٨١، بعنوان: "ترتيب الرحلة للترغيب في الملة".

[ك: ١١٩ أ]/بسم الله الرحمن الرحيم، و صلى الله على سيدنا ومولانا [د: ٤٦ ب] محمد وآله، وسلم تسليما[١٥٦٣]

[مقدمة]

قال الإمام، الحافظ، القدوة، المبارك، الفاضل، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، المعافري، الأندلسي، رضي الله تعالى[١٥٦٤] عنه.

الحمد لله الذي جعل الحمد فاتحة الكتاب، وأول كلام الخلق يوم الحساب، وآخر دعوى أهل الثواب، ونسأل الله أن يصلي على رسوله المصطفى الطاهر، وعلى من له من القرابة الأصحاب، وعلى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الحساب.

أما بعد، فإن الداخل في طلب العلم كثير! والسعيد قليل، وعدم الإنصاف خطب جليل. وكم من حاضر بعرفة[١٥٦٥] من غير معرفة، ونازل بمنى وما نال مني. وكم <من>[١٥٦٦] قارئ في بغداد، خرج وما قرى بزاد. فالشجر يوجد،

[١٥٦٣] د: "وصحبه وسلم".

[١٥٦٤] زيادة من د.

[١٥٦٥] د: "بمعرفة"، وصوب اللفظ بهامشه دون التشطيب عليه في المتن.

[١٥٦٦] ساقط من د ود ش.

والثمر[١٥٦٧] يعدم، والأجسام تفنى، والأرواح تتقدم، والقشر[١٥٦٨] عام، واللب خاص. وقد شاهدت من طلبة[١٥٦٩] العلم بإفريقية، ومصر[١٥٧٠]، والشام، والساحل، والعراق، والحجاز، ما لا يأتي عليه الإحصاء، ولا ينال بالإستقصاء. جميعهم يأمل الغاية وما حصل عليها، ويقصد النهاية وما انتهى إليها. <وقد>[١٥٧١] خلع ثياب الوطن، واستظهر على الغربة واستوطن. يجتهد بزعمه، وهو لا يعلم كيف ولا أين؟ يرجع بعد طول المغيب بخفي[١٥٧٢] حنين. ومنهم من يأخذ العلم بذبيب[١٥٧٣]، ويقنع منه بأدنى نصيب، فيعود بباع قصير وناظر غير بصير. إن رمى عنه فغايته الأعمش[١٥٧٤]، أو يوحث قلبه

(١٥٦٧) دندش: "والتمر".

(١٥٦٨) ك: "والعشر": والتصويب من ح. مؤنس، تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مدريد، ٤٠٠/١، ٤٠٥، ٤٠٧، ٣٠٧، ونقل ما نشره حسب ما ذكر- عن مخطوط القرويين؟ بفاس، دون أن يشير إلى مرجعه. وسنشير إليه في الإحالة باسم مؤنس.

(١٥٦٩) دندش: "طلب".

(١٥٧٠) د: "ومضر".

(١٥٧١) ساقط من مؤنس؛ دندش: "فقد".

(١٥٧٢) ورد اللفظ في ك، د دون إعجام حروفه.

(١٥٧٣) ك، د: "دبدب"، والتصويب من مؤنس.

(١٥٧٤) دندش: "كالأعمى".

<ليل>[١٥٧٥] أعمى وأعطش. [ك: ١٢٠] ومنهم من يعتمد من العلوم فنا[١٥٧٦] ويرى غيره دونا،[١٥٧٧] فلا عليه حصل، ولا به حفل[١٥٧٨]. ومنهم من يدخلها عاثرا لا ينتعش[١٥٧٩]، وأملس لا ينتقش. ومنهم من يدخلها لمح بارق، وقبس طارق، وعجالة راكب، فخفي برقه، وخمد قبسه، وفترت عجالته[١٥٨٠].

ولما سبق خير القضاء برحلتي إلى تلك المشاهد[١٥٨١] الكريمة، وحلولي في تلك المقامات العظيمة، دخلتها والعمر في عنفوانه، والغصن مايس[١٥٨٢] بأفنانه، والكتاب مختوم تعنوانه. ومعي صارم لا أخاف نبوته. وحصان لا أتوقع كبوته. أب في الرتبة، وأخ في الصحبة. يستعين[١٥٨٣] ويعين، ويسقي من النصيحة بماء معين. وزوى الله عن قلبي[١٥٨٤] كل بطالة، وكشح عن فؤادي كل

[١٥٧٥] كذا في ك، د؛ دندش: "أو برحت فنيله. ولفظ "ليل" ساقط منها.

[١٥٧٦] ك، د، دندش. "فناه"؛ والتصويب من مؤنس.

[١٥٧٧] ك. د. دندش: "دهرنا"؛ والتصويب من مؤنس.

[١٥٧٨] ك، د: "خصل"؛ دندش: "حصل"؛ والتصويب من مؤنس.

[١٥٧٩] دندش: "يشعش".

[١٥٨٠] ك، د: "وعجالة راكب أولي حفى (دون إعجام)، وخمد نبسه"؛ مؤنس: "وعجالة راكب أولى حظى برقه، وخمد نفسه، وقبره عجالته"؛ دندش: "وعجالة راكب أولى حما برقه، وخمد نفسه، وفترت عجالته"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا.

[١٥٨١] ك. د: "المشاهدة"، والتصويب من مؤنس ودندش.

[١٥٨٢] دندش: "مائل".

[١٥٨٣] مؤنس: "يسند".

[١٥٨٤] د: "قلب".

إمالة، فجنيت من كل شجرة زهرة، ورعيت من كل صنف غورة[1585]، وكشفت عن كل خفاء عورة[1586]، وافتقرت من كل فن فقرة، حسبما فسرته وأوضحته وشرحته، وبينته وقررته، ونزلته في كتاب "ترتيب الرحلة للترغيب في الملة". وذكرت فيه لقاء الأعيان لنا، وسير الفضلاء معنا، ولحظهم لجانبنا بناظر التعظيم، ومقابلتهم <ورودنا>[1587] بالتجليل[1588]، والتكريم، ووداعنا[1589] لهم على غاية الرضى والتسليم، وانقلابنا عنهم بصفة المرتضى، واتحافهم جملا من طرائفهم، ونتفا[1590] من فرائدهم، ما[1591] تتأرج به أصائل الأيام، ويجلو نوره ديجور الظلام. وكان ذلك أمرا يطول النظر فيه، ويذهل الشادي بخواتمه عن [د: ٤٦ ب] مباديه. فاستخرت الله -تعالى- على تجريد هذه / الأوراق بشواهد الجلة والأعيان، في مشاهد الإسلام والبلدان لنا، بمزية التعظيم والتوقير، وتسجيلهم[1592] لنا لتحصيل العلوم على غاية التوفير، حتى يظهر البون، ويتبين أن الله -تعالى- يختص من يشاء بالعون، ويتحقق الحسود[1593] الناقص المتقصي

(١٥٨٥) مؤنس: "درة".

(١٥٨٦) مؤنس: "عورة".

(١٥٨٧) ساقط من دندش

(١٥٨٨) دندش: "بالتبجيل".

(١٥٨٩) ك، د: "وواعدنا": مؤنس: "ووعدنا" والتصويب من دندش.

(١٥٩٠) دندش: "ونبذ".

(١٥٩١) مؤنس: "فوائدهم، مما".

(١٥٩٢) كذا في ك، د، دندش: "وتسهيلهم".

(١٥٩٣) ك، د، دندش: "المسود": والتصويب من مؤنس، ليستقيم المعنى.

لما حولي، ليغض بزعمه[٥٩٤] مني -أنه فاسد الفطرة، خاسر الصفقة، مقبح الوجه، مستحق النجه[٥٩٥] وجعلته[٥٩٦] مراتب على حسب الوقت الذي حصل فيه كل نوع منه.

المرتبة الأولى: لما[٥٩٧] وصلنا مدينة السلام، ولقينا فيها كبراء الإسلام، كتب أبي -برد الله ثراه، <وخلد[٥٩٨] في الجنة مثواه>[٥٩٩] إلى الخليفة[٦٠٠] -رضوان الله عليه وعلى آبائه- كتابا في درج طويل، على صنة أدراجهم في مخاطبتهم، بسخته في أوله إلى آخره.

[رسالة أبي محمد ابن العربي إلى الخليفة العباسي المستظهر لاستصدار تقليد رسمي ليوسف بن تاشفين وتوصية خاصة بأبي محمد وابنه]

!

الخادم بالأدعية، تقبلها الله، ابن العربي الأندلسي.

بسم الله الرحمان الرحيم، عليه توكلي.

أسعد الله الدنيا وأهلها بدوام أنوار المواقف المقدسة النبوية الإمامية

---

(٥٩٤) ك، د: "المنقص رأسه حولي، ليغض بزعمه"؛ دندش: "المنتقص من حولي لبعض يزعمه"؛ والتصويب من مؤنس.

(٥٩٥) ك، د، دندش: "المحنة"، والتصويب من مؤنس، ليستقيم المعنى والسياق.

(٥٩٦) ك، د: "وجعلت"؛ والتصويب من مؤنس.

(٥٩٧) س. أعراب، مع القاضي، نفس المصدر، ٥٨: "ولما"، ونقل ما نشره عن مخطوطة خ. ع. الرباط، رقم د ٣/١٠٢٠، وسنشير إليه في الإحالة باسم: أعراب.

(٥٩٨) ك، د: "برد الله ثواه وبرد"؛ دندش: "برد الله مثواه وبرد"؛ أعراب: "برد الله مثواه"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

(٥٩٩) ساقط من أعراب

(٦٠٠) دندش: "بالخليفة".

المستظهرية، وضاعف مددها، ولا أري المسلمين[٦٠١] أمدها بغرائب مجد تبدعها، وفرائض بر تشرعها، وحوادث[٦٠٢] أيام تذلل صعابها، ومستأنف سعود تحرس جنابها[٦٠٣]، ولا زالت الأيام - التي هي لأيامها -غررا، وفي إكليل الخلافة دررا، للدهر[٦٠٤] تمائم، وفي المحل [ك:١٢١] غمائم. والحمد لله الذي / جعل للمواقف المقدسة النبوية الإمامية المستظهرية، سرائط السؤدد[٦٠٥] وخصها بالمجد المؤثل المطول، بالانتساب، كابرا عن كابر إلى أعلى خندف[٦٠٦] فهي[٦٠٧] أعلاها عمادا، وأوراها في مواقف الفضل زنادا. أرومة الرسالة، وجرثومة الخلافة. إليها ينزع هاشم، وعنها أخذت المكارم. مفاخر شهد لها الكتاب المنزل، وعهد بتخليدها مخبرا عن الصحي في آله وعقبه -النبي المرسل. قد آمنت

---

[٦٠١] ك. د: دندش: "المسلمون"، والتصويب من بروفنصال:
"Le titre souverain des almoravides et sa legitimation"
ونقل ما نشر هنا عن مخطوطته الخاصة وسنشير إليه في الإحالة باسم. بروفنصال.

[٦٠٢] ك. د: "وحواديث"، والتصويب من بروفنصال، ودندش.

[٦٠٣] دندش: "جانبها".

[٦٠٤] بروفنصال: "للزهر".

[٦٠٥] ك. د: "السوداد؛ بروفنصال: "الوداد"؛ . أ م العبادي دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، نفس المصدر، ٤٧٢. "السواد". وهو نقل عن مخطوطة خ. ع. بالرباط رقم ك ١٢٧٥، وسنشير إليه في الإحالة باسم: العبادي؛ والتصويب من دندش.

[٦٠٦] بروفنصال: "خناب".

[٦٠٧] بروفنصال: "فهو".

بعصمة الله من الغير، وتحققت أن آخرها على سنن أولها في هداية البشر بحسن السير. أوزعنا الله الشكر على <ما>[٦٠٨] من به من توفيقنا للتمسك بعراها الوثيقة، والإهتداء بهداها إلى واضح[٦٠٩] الطريقة. فهم في الدين[٦١٠] أئمتنا[٦١١] ويوم[٦١٢] الدين وسيلتنا. استعملنا الله من طاعته وطاعتهم بما يؤدي إلى مرضاته ومرضاتهم، إنه الموفق الهادي، لا رب غيره.

وإن الخادم بالأدعية للمتقبلة للمواقف المقدسة، النبوية الإمامية[٦١٣]، المستظهرية -ألهمه الله منها لما يسمع، ويرفع يمنه- لما علم بموجب الشرع أن بيعة الإمام العادل من أركان الديانة، ومما يتعين تعيين ما يحتمل من رعاية الأمانة، هاجر إلى ذلك بنفسه[٦١٤]، وبابنه المسترق التن[٦١٥] من أقصى المغارب، معتقدا أن عمله أفضل القرب[٦١٦] والرغائب، واحتمل برد الهواء وظمأ الهواجر، واقتحم دون ذلك مسالك بلغت فيها القلوب الحناجر ولم

---

[٦٠٨] الزيادة من بروفنصال، ليستقيم السياق.

[٦٠٩] بروفنصال، دندش: "أوضح".

[٦١٠] دندش: "للدين".

[٦١١] ك، د، دندش، العبادي: "أمتنا"، والتصويب من بروفنصال.

[٦١٢] بروفنصال: "وفي يوم".

[٦١٣] دندش: "للإمامية".

[٦١٤] ك، د: "بقيسه"؛ والتصويب من بروفنصال.

[٦١٥] كذا في ك، د، دندش، والعبادي: بروفنصال: "المستر والقن"، والراجح أن عبارة: "المسترق القن" من زيادة الناسخ إذ بحذفها يستقيم المعنى والسياق، وستكرر هذه العبارة أدناه.

[٦١٦] دندش: "القرى".

بهله[٦١٧] بحر يزخر ولا قفر يدعر[٦١٨]، يحتسب في ذلك أجره[٦١٩] ويرجو أن يقبل الله يوم الجزاء عثاره. إلى أن انتهى هو وابنه إلى مدينة السلام، لا زالت محروسة من عين[٦٢٠] الأيام، عاصمة لمن التجأ إليها[٦٢١] من مهضتي الأنام، <ووصل إلى الحرم الشريف، لا زال حرما[٦٢٢] على الزمان، ونظاما حارسا من[٦٢٣] الحدثان>[٦٢٤]. ولم يزل الخادم بالأدعية المتقنبة بحول اته، يتوسل بهجرته، ويتقرب بخلوص علانيته وسريرته، ويسأل تشريف رقاعه بملاحظتها، والنظر في انقطاعه، رغبة في الخط الجسيم، إلى أن وصل إلى المجلس السامي، وخدم البساط العلي -زاده الله تشريفا وتعظيما- وأنهى [ك: ٤٧ أ] أغراض وفادته، ومتقاصد ارادته. / فنفذت الأوامر الشريفة -دام <الله>[٦٢٥] سموها وتشريفها، وأضفى على الجميع ستر سلطانها وكنف إحسانها- بقبول وسائله، وإنجاح مطالبه، وإفاضة الاحسان عليه <ولضمان الرفق به[٦٢٦] > ولما بسط له في

---

(٦١٧) العبادي: "بثنه".

(٦١٨) ك، د: "بحر بوخرد، ولا قفر يدعد"؛ بروفنصال، دندش: "البحر يزخر، ولا قفر برعد"؛ والتصويب من العبادي.

(٦١٩) ك، د، دندش، العبادي "أثره"، والتصويب من بروفنصال.

(٦٢٠) ك، د، العبادي: "غير"؛ والتصويب من بروفنصال ودندش.

(٦٢١) ك، د، العبادي: "إليه"؛ والتصويب من بروفنصال. ودندش

(٦٢٢) ك، د: "حراما"؛ والتصويب من بروفنصال.

(٦٢٣) بروفنصال: "ونظاما جاز سائر".

(٦٢٤) ساقط من العبادي.

(٦٢٥) ساقط من دندش.

(٦٢٦) ك، د، دندش: "وإضمار النبوية"؛ ساقطة من العبادي؛ والتصويب من بروفنصال.

الأمل[٦٢٧]، وكان هو وابنه في محل الكرامة والجدل[٦٢٨]، أبدى[٦٢٩] بعرض ما هو عليه ناصر الدين، وجامع كلمة المسلمين القائم بدعوة مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين- الأمير أبو يعقوب يوسف بن تاشفين، المتحرك بالجهاد، المتجهز[٦٣٠] إلى المسلمين باستئصال فئة[٦٣١] العناد، ولمة [ك: ١٢٢] الفساد. قام بدعوة الإمامة العباسية والناس أشياع وقد / غلب عليهم قوم دعوا إلى أنفسهم، ليسوا من الرهط الكريم، ولا من شعبه[٦٣٢] الطاهر الصميم. فتبعه[٦٣٣] جميع من كان في أفق قيامه بالدعوة الإمامية العباسية وقاتل من توقف عنها- منذ أربعين عاما، إلى أن صار جميع ما في جهة المغارب[٦٣٤] على سعتها وامتدادها- له طائع[٦٣٥] واجتمعت[٦٣٦] بحمد الله، <على دعوته الموفقة، الجماعة. فيخطب الآن للخلافة - بسط الله>[٦٣٧]

---

(٦٢٧) بروفنصال: "الأمد".

(٦٢٨) بروفنصال: "الجد".

(٦٢٩) ك، د، العبادي: "بدأ"؛ والتصويب من بروفنصال.

(٦٣٠) بروفنصال: "المتعهد".

(٦٣١) بروفنصال: "أولى".

(٦٣٢) ك، د، بروفنصال: "شعب"، دندش: "الشعب"؛ والتصويب من العبادي.

(٦٣٣) العبادي: "فتبه".

(٦٣٤) دندش: "المغرب".

(٦٣٥) ك، د، بروفنصال، العبادي: "طاعة"؛ دندش: "طائعة"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

(٦٣٦) دندش: "واجتمعت له".

(٦٣٧) ساقط من دندش.

أنوارها وأعلى منارها -على أكثر من ألفي منبر وخمسمائة منبر. فإن طاعته ضاعفها الله- من أول بلاد الإفرنج -استأصل الله شأفتهم، ودمر جملتهم- إلى آخر بلاد السوس مما يلي بلاد غانة، وهي بلاد معادن الذهب! والمسافة بين الحدين المذكورين مسيرة خمسة أشهر. وله وقائع في جميع أصناف الشرك، من الافرنج وغيرهم. قد فللت عزمهم وفللت حزبهم[٦٣٨] وألفت[٦٣٩] جموعه حربهم، وهو مستمر على مجاهدتهم ومضايقتهم في كل أفق، وعلى كل الطرق. وقد استرجع كثيرا من المعاقل التي استباحها الروم، من ثغور[٦٤٠] المسلمين، وسبى[٦٤١] أهلها قبل حصول تلك الجهات في حكم سلطانه. وكانت ثغور المسلمين بها مستضامة، وقد أعادها جده -بحمد الله- إلى أوانها، واحترمت بحرمة المسلمين والإسلام، وعز[٦٤٢] سلطانه. وهذا دأبه، ومجراه الذي لا عمل له[٦٤٣] سواه، وعدة جيوشه، إذا جمعها لحركته، ستون ألف فارس.

وكان أمله مواصلة الخدمة والتشرف بإنهاء أعماله، والإعلام بمتنقل أحواله وأفعاله، < وباحتماله على حماية دين المسلمين، وإقباله على مجاهدة

---

(٦٣٨) ك. د: "فللت غربهم وفللت حربهم"، بروفنصال، العبادي: "فللت غربهم، وفللت حزبهم"؛ دندش: "فدخلت أرضهم وفللت حربهم" ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

(٦٣٩) دندش "وألف".

(٦٤٠) ك، د، العبادي: "أمور"؛ دندش: "ثغور"، والتصويب من بروفنصال.

(٦٤١) ك، د، دندش، العبادي، "وسبت"؛ والتصويب من بروفنصال.

(٦٤٢) ك. د: "وعزا"؛ دندش: "وأعز"؛ والتصويب من بروفنصال.

(٦٤٣) دندش: "به".

المشركين>[٦٤٤]، إلا أن الحائل المانع دون ذلك لانشغاله[٦٤٥]. ولم[٦٤٦] يزل محافظا على ما هو عليه من إقامة الدعوة السعيدة، والاعتراف بجمل النعم الوافدة[٦٤٧] العديدة بفضل الله. ولقد وصل، إلى ديار[٦٤٨] المشرق في هذا العام، قاض من قضاة المغرب، يعرف بابن القاسم، وذكر من حال هذا الأمير ما يؤكد ما ذكرته، ويؤيد ما شرحته. وأشاع القاضي المذكور ذلك بمكة وصل الله تشريفها وتعظيمها. وذكر لي أن الروم على شفى جرف من تضييقه عليهم، وحصاره لهم[٦٤٩]. وقد تكرر[٦٥٠] إعلام الخادم بذلك لما يلزمه من طاعة أولي الأمر، لا سيما هذا الأمير، وقد خص بفضائل منها: الدين المتين، والعدل المستبين، وطاعة الإمام، وابتداء جهاده[٦٥١] < بالمحاربة على إظهار دعوته، وجميع المسلمين على طاعته، والإرتباط>[٦٥٢] بحماية[٦٥٣] ثغور المسلمين. وهو ممن يقسم بالسوية، ويعدل في الرعية ووالله ما في طاعته مع سعتها. دان منه

---

(٦٤٤) ساقط من أعراب.

(٦٤٥) بروفنصال، دندش: "لاتفاقه"؛ ولعل المقصود انشغاله بالجهاد.

(٦٤٦) ك، د: "ولن"؛ والتصويب من بروفنصال.

(٦٤٧) ك، د: "بحمل"، بروفنصال: "نجمل"، والتصويب من دندش والعبادي.

(٦٤٨) بروفنصال: "بديار".

(٦٤٩) أعراب: "وأشاع بمكة فضائل هذا الأمير، وجهاده المستمر، وأن الروم أصبحوا على شفا جرف من تضييقه وحصاره لهم...". وهو تصرف بالغ في متن الأصل.

(٦٥٠) بروفنصال: "تقرر".

(٦٥١) ك، د، بروفنصال: "حماده"؛ دندش: "حماه"؛ والتصويب من العبادي.

(٦٥٢) ساقط من دندش.

(٦٥٣) ك، د: "بحماته"؛ بروفنصال: "بحماته في"؛ والتصويب من دندش.

ولا نائ عنه من البلاد <إلا>[٦٥٤]، يجري فيه على أحد من المسلمين رسم مكس، وسبل المسلمين آمنة. ونقوده من الذهب [د: ٤٧ ب] والفضة سليمة من الشوب، مطرزة / باسم الخلافة. ضاعف الله تعظيمها وجلالها. [ك:١٢٣] هذه / حقيقة حاله، والله يعلم، أني ما أسهبت ولا لغوت، بل لعلي قد أغفلت أو قصرت. ولمولانا أمير المؤمنين، المستظهر بالله صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين- الطول العميم، في الأمر بتشريفه وقبول[٦٥٥] تأميله، وفي الإشارة إليه بما يقوي أمره، ويشد أزره، ويؤيد سلطانه، ويعلي شأنه، مجريا له على السنن[٦٥٦] الكريم أو الطول العميم. فوالله ما في الأمراء، ولا في الحرم والنصحاء والأولياء، من يجوز في الولاء وصحة الانتماء سبقه، ولا يلبس من النصيحة طوقه. والله يمنحه من الخلافة المقدسة، المنيفة على الطرق[٦٥٧] النبوية المعوسمة>[٦٥٨]، ما يحصل يده، ويقوي أمره[٦٥٩]، ويشد عضده بمنه وطوله.

وضراعة الخادم بالأدعية المتقبلة لنفسه ولابنه المسترق القن[٦٦٠] بعد الامتنان، بإباحة الصدر لهما إلى الوطن. فقد بعدا عنه منذ سبعة أعوام وأقاما في

---

[٦٥٤] بروفنصال: "مادنا منه وما نأى من البلاد، لا"؛ دندش: "ولا"؛ والزيادة من العبادي، ليستقيم المعنى.

[٦٥٥] ك. د: "تشريفه بقبول"؛ دندش: "بتشريفه بقبول"؛ العبادي: "تشريفه بقبول"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا.

[٦٥٦] كذا في ك. د. بروفنصال، العبادي، دندش: "السنى".

[٦٥٧] ك. د. دندش، العبادي: "طرق"؛ بروفنصال: "طرر". ولعل الصواب ما أثبتنا.

[٦٥٨] ساقط من العبادي.

[٦٥٩] ك. د. العبادي: "أيده"، والتصويب من دندش.

[٦٦٠] كذا في ك. د. دندش، العبادي؛ بروفنصال: "المستر والمن".

الجناب المخصب الظليل[٦٦١]، والكنف الرحب المأهول، مدة عامين، يسندران[٦٦٢] النعم، الحافلة جملا بعد جمل، ويكرعان في المشارب الجمة العذبة على[٦٦٣] بعد نهل. فنه الهمم[٦٦٤] الشريفة، التي مسحت[٦٦٥] على شكايتهما من عدوان الأيام، بيد شيم[٦٦٦] الكرام، وأزاحت عنهما جميع الشكايات[٦٦٧] والآلام.

وهذه نبذة من الصنائع المشكورة، وجلدة من بضائع المكارم الرابحة المشهورة، وإنها لمسطورة في صحيفة الفخر، مملوأة بجزيل الأجر، وعبقة[٦٦٨] بأرج النشر وإن الشكر ليقل في جانبها، ويقصر عن أنزر لأزمها.

---

(٦٦١) دندش: "الظليل".

(٦٦٢) ك، د: "يسندران"؛ بروفنصال، دندش: "يسندان"؛ والتصويب من العبادي.

(٦٦٣) دندش: "عملا"، العبادي: "عللا".

(٦٦٤) ك، د: "الهمم"؛ العبادي: "الهام"، والتصويب من بروفنصال ودندش.

(٦٦٥) د، بروفنصال: "سمحت"؛ دندش: "سمت".

(٦٦٦) ك: "مسح"؛ د: "سبح"؛ بروفنصال: "المراسيم"؛ دندش: "سيم"، والتصويب من العبادي.

(٦٦٧) ك، د، بروفنصال: "الشكات" والتصويب من دندش.

(٦٦٨) ك، د، دندش: "من جزيل الأجر، عقبة"؛ بروفنصال: " من جزيل الأجر، عبقة"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا.

<فإنها>[١٦٦٩] ضمنت حياة نفسين، ونشرت دفيني رمسين[١٦٧٠]. فكأنها قد أجابت[١٦٧١] ضعف الورى، ونشرت أمثل المستودعين في الثرى، فكأنما أحيا النفس الواحدة "فأكنما أحيا الناس جميعا"[١٦٧٢]، وعند الله تعالى كفاء ما أولاه مولانا الإمام المستظهر بالله، أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وعلى آبائه الأكرمين - من جميل الفعل وجزيل ما أتاه في سبيل الفضل.

والخادم الغامر القلب، هو وعقبة بالمحبة الناطقة[١٦٧٣]، والطاعة الخالصة، صار[١٦٧٤] في جملة الحامدين، ويرجو أن لا يكون مقصرا عن درجة السابقين، ويضرع في رسمه ورسم المملوك[١٦٧٥] ابنه، عن التشريف السامي ما زال[١٦٧٦] للقمة[١٦٧٧] الكرام يتجانا، وعلى قسامته[١٦٧٨] العز والكرامة عنوانا، ليعيد حيث جلا إلى النباهة ذكرهما، وإلى البر والكرامة قدرهما، ويظهر

(١٦٦٩) ساقط من بروفنصال، ودندش.

(١٦٧٠) ك: "دفيني رسمين"؛ د: "دفيني رسمين"؛ دندش: "دفين رسمين"؛ والتصويب من بروفنصال.

(١٦٧١) ك، د: "أجبت"؛ بروفنصال: "أحيت"؛ دندش: "أخفت"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا.

(١٦٧٢) سورة ٥ (المائدة)، آية ٣٢ م.

(١٦٧٣) ك، د، دندش: "الناصفة"؛ والتصويب من بروفنصال.

(١٦٧٤) ك، د، بروفنصال: "صادر"؛ والتصويب من دندش.

(١٦٧٥) ك، د: "وسمه ووسم الملوك"؛ دندش: "وسمه وسم الملوك"؛ والتصويب من بروفنصال.

(١٦٧٦) ك، د: "لا زال"؛ دندش: "لا تزال"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا.

(١٦٧٧) ك، د: "لقمه"؛ دندش: "النعم"؛ والتصويب من بروفنصال.

(١٦٧٨) ك، د، بروفنصال، دندش: "قسامتهم"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا.

مزية وفادتهما ورعاية هجرتهما، ويثبت لهما من المفتخر ما يحيد عليه البر الموازر، يتضاءل له الحسود المكاشر[٦٧٩]، ويبقي تشريفه علة مر الأيام، ويصرع أن يتضمن التشريف العزيز ثبوت رسمه في الديوان الشريف ضاعف الله علاه <ونماه>[٦٨٠] - بما خص به والمملوك ابنه من الكرامات والنعمة. وإنه متى وفد، هو أو ابنه[٦٨١] المملوك، كام ذلك للوافد منهما مجددا. وعلى مر الأيام مؤكدا مخلدا[٦٨٢]، حسب العادة الكريمة له [ك: ١٢٤] ولسلفه الأكرمين -رضي الله عنهم- أنهم متى أنعموا بنعمة. أو خصوا بكرامة ومنة، ثبتت مؤبدة، وتجددت مخلدة، وليمتثل الأمر[٦٨٣] العالي، والتشريف السامي فيهما، جميع من يردان[٦٨٤] عليه في كل الآفاق، من جميع الطباق، امتثالا لما يعد لهما من الإكرام، واحتمالا على ما تأصل لجانبهما من التنويه[٦٨٥] والإنعام. وإن ذلك يرثه الخلف منا عن السلف. وتكون لنا مزية التشريف بالوصول إلى مهاد[٦٨٦] العز المأمول.

لا أعدم الله مولانا الإمام المستظهر بالله، أمير المؤمنين [د: ٤٨ أ] صلوات

---

(٦٧٩) بروفنصال، د ند ش: "الحسود والمكاشر".

(٦٨٠) بروفنصال: "ومثراه"؛ ساقط من د ند ش.

(٦٨١) بروفنصال: "وابنه".

(٦٨٢) أورد أعراب هذه الجملة بتصرف بالغ هكذا: "(...ويظهر مزية وفادتها...ويقر بهما إليه، ويثبت رسمهما في ديوانه. ويبقي ذلك لهما ولعقبهما مؤبدا، وعلى مر الأيام مؤكدا ومخلدا").

(٦٨٣) محو في ك والنقل من د.

(٦٨٤) ك، د: "يودان"؛ بروفنصال: "يؤذان"؛ د ند ش: "برد أن"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

(٦٨٥) ك، د: "بجنبتيهما من التنويه"؛ بروفنصال: "لجانبهما من التربة"؛ د ند ش: "لجنتهما من المثوبة"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا.

(٦٨٦) د ند ش: "جهاد".

الله عليه / وعلى آبائه المنتخبين، مبرة تتضاعف بها المعالي، وسعادة تحرز أسنى الأمالي"[٦٨٧]، وكناية يستمد بها حرمة الأيام والليالي، فذلك بيده وغير معجزه[٦٨٨] وهو المنعم الجواد. وكل خير من حوله مستفاد، لا شريك له، ولا توفيق إلا به. والحمد لله حق حمده، وصلواته على سيد المرسلين رسوله وعبده، وعلى آله الطيبين، وعترته المنتخبين[٦٨٩] الراشدين، آباء أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين إلى يوم الدين. وحسبي الله ونعم الوكيل.

[توقيع الخليفة العباسي المستظهر بالموافقة على طلب أبي محمد ابن العربي]

فراجعه عنه على ظهره بتوقيع عزيز، عدد[٦٩٠] أسطره سبعة وثلاثين سطر، بخط فسيح. كتابي مليح. بين السطر[٦٩١] الأول منه والثاني منه[٦٩٢]: "العلامة العزيزة بخط أمير المؤمنين، بالقلم الغليظ، بمداد ممسك: المستظهر"[٦٩٣] بالله.

عرضت هذه القصة بمعاوز العزة والعصمة، ومواقف الإمامة المطهرة

---

[٦٨٧] دندش: "الأماني"؛ العبادي: "المعال وسعادة تحرز أسنى الأمال".

[٦٨٨] بروفنصال: "معجز"؛ دندش: "معجزة".

[٦٨٩] دندش: "وعشرته المنتخبين".

[٦٩٠] د: "أعدد".

[٦٩١] د: "الطهر"

[٦٩٢] لعله لفظ زائد من الناسخ ويستقيم المعنى بحذفه.

[٦٩٣] ك، د، بروفنصال، العبادي: "القاهر" والتصويب من دندش.

المكرمة -زاد الله في جلالها، وسبوغ ظلالها- فخرجت المراسيم[٦٩٤] الشريفة، بأن[٦٩٥] ذلك[٦٩٦] الوالي[٦٩٧] الذي أصحى بحبل الإخلاص معتصما، وبشرطه[٦٩٨] ملتزما، وإلى أداء فروضه مسابقا، وظل[٦٩٩] فعله، في ما هو بصدده، للتوفيق مساوقا[٧٠٠]، لا ريب في اعتقاده، ولا شك في تقلده، من[٧٠١] الولاء طويل نجاده. إذ كان من غدا بالدين تمسكه، وفي الذود[٧٠٢] عنه مسلكه حقيقا بأن يستتب صلاح النظام على يده، ويستشف[٧٠٣] من يومه[٧٠٤] حسن العقبى في غده، وأفضل ما نحاه، وعليه من الإجتهاد دار رحاه[٧٠٥]، جهاد من يليه من الكفار، وإتيان من يقضي عليهم بالإجتياح والبوار،

---

(٦٩٤) ك. د: "دندش، العبادي: "المراسم"؛ والتصويب من بروفنصال.

(٦٩٥) ك. د. بروفنصال، دندش. "ان"؛ والتصويب من العبادي.

(٦٩٦) دندش: "هذا".

(٦٩٧) ك. د: "الولى".

(٦٩٨) ك. د: "ولشرطه".

(٦٩٩) بروفنصال، دندش، العبادي: "وكل".

(٧٠٠) دندش: "مسابقا".

(٧٠١) أعراب: "في".

(٧٠٢) ك. د. بروفنصال، دندش العبادي: "الزيادة؛ أعراب: "الديانة"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

(٧٠٣) أعراب: "ويستنشق".

(٧٠٤) دندش: "يوم".

(٧٠٥) ك. د. بروفنصال: "وجاه"؛ والتصويب من دندش.

اتباعا لقوله تعالى: "قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ"[٢٠٦]. فهذا هو الواجب اعتماده، الذي يقوم به من الشرع عماده. وأن يؤلف[٢٠٧] شمل من في جملته من الأجناد على الطاعة الإمامية التي هي العروة الوثقى، والذخر الأبقى[٢٠٨]، واستقراء قوله تعالى، والعمل به، والبدار إلى التشبث[٢٠٩] بسببه: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ"[٢١٠]. وليكن دأبه الجهاد في ما يكسب عند الله -تعالى- الزُّلْفَى، ويمنحه من رضاه القسمَ الأكملَ الأوفى. "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا"[٢١١]. وأن يختص رافعها وولده بالإرعاء[٢١٢] الذي يضفو[٢١٣] عليهما برده، ويصفوا لهما ورده[٢١٤]. ليظهر عليهما من المهاجر [ك.١٢٥] جميل الأثر. ويؤول / أمرهما- < فيما >[٢١٥] يرجو بهما- إلى الاستقامة

---

(٢٠٦) سورة ٩ (التوبة)، آية ١٢٣م.

(٢٠٧) بروفنصال، دندش، أعراب: "ويؤلف".

(٢٠٨) أعراب: "الأوفى".

(٢٠٩) د. بروفنصال: "والمدار إلى التشبث"؛ دندش: "والمداري به والتشبث".

(٢١٠) سورة ٤ (النساء)، آية ٥٩م.

(٢١١) سورة (آل عمران)، آية ٣٠م.

(٢١٢) بروفنصال: "بالإعتناء"؛ دندش: "بالدعاء".

(٢١٣) ك، د، بروفنصال، دندش: "يصفو"؛ والتصويب من العبادي.

(٢١٤) بروفنصال: "ويصفق لهما يرده"؛ دندش: "ويصفوا إليه رده".

(٢١٥) ساقط من دندش.

[بـ]النظام، ومظم[١٣٢٦] النثر[١٣٢٧].

فليتابل الأمر الأسنى في ذلك باستثال[١٣٢٨]. <واحتذاء مطاع المثال>[١٣٢٩] إن شاء الله.

وكتب في رجب، سنة إحدى وتسعين وأربعمائة. ه.

[رسالة التأييد والتوصية من الوزير ابن جهير باسم الخليفة إلى يوسف بن تاشفين]

ثم كتب كتابا مستأنفا بلسان الوزير [ا]بن جهير، نسخته من أوله إلى آخره:

من الوزير الأجل، السيد الأعدل[١٣٣٠]، عميد الدولة، بهذه[١٣٣١] الملة، شرف الأمة، ولي النعمة، خلاصة أمير المؤمنين، محمد بن محمد بن <محمد ابن>[١٣٣٢] جهير، إلى أمير المسلمين، وناصر الدين، القائم بدعوة أمير المؤمنين، أزكى الرغائب بأرض المغارب، لأبي يعقوب، يوسف بن تاشفين، أطال الله بقاءه

(١٣٢٦) ق: "وضم": والتصويب من د، بروفنصال، دندش: الزيادة في لفظ "بالنظام" من بروفنصال.

(١٣٢٧) ك، د: "النشر". والتصويب من بروفنصال ودندش.

(١٣٢٨) د، بروفنصال، دندش، "بالامتثال"؛ أعراب: "بالاستقبال".

(١٣٢٩) ساقط من د، بروفنصال، ودندش.

(١٣٣٠) ك، د: "العمل"؛ والتصويب من بروفنصال ودندش.

(١٣٣١) ك: "بهذا": والتصويب من د.

(١٣٣٢) ساقط من ، بروفنصال، ودندش

ومدته، وضاعف بسطه، وكبت أعداءه وحسدته. <آمين>[١٧٢٣].

بسم الله الرحمن الرحيم.

كتابي من حضرة مولانا أمير المؤمنين، أبي العباس المستظهر بالله، أدام الله أيامها، وأوضح أعلامها، وأعز أنصارها، وأعلى منارها.

[فـ]ـالأحوال مستقيمة بإقبال دولته، منتظمة بيمن تدبيره وسياسته، تجري على أفضل ما عودها الله -تعالى- من نفاذ الأمر [د: ٤٨ ب] ومضائه، وانبساط السلطان واعتلائه. ونحن / مقابلون نعمته بالشكر والاعتراف، مستديمون مددها بالعدل والإنصاف، متحققون إجابة رغبتنا في توفيق أولياء مولانا المخلصين، وأهل الطاعة من كافة المسلمين، لما يقرب من طاعته، ويوزع شكر نعمته السابقة عليهم بولايته. فلقد استخلف عليهم منه[١٧٢٤] أكرم مستخلف، وعطف عليهم بولايته أفضل مستعطف، فأصبح وقد أطاعته الأمة العاصية، وأمكنته الغايات. فذلل[١٧٢٥] الصعب، ورأب الشعب، وقرب النازح، وراض[١٧٢٦] الجامح، وقوم المائد[١٧٢٧] وأصلح الفاسد، وأعاد معالم الحق عامرة بعد دثورها، ومشاربه صافية بعد كدورها[١٧٢٨]. وبضائع الخير نافقة بعد كسادها، وأحوال الأمة صالحة بعد فسادها. مبتغيا فيما آتاه الله مصلحة أخراه[١٧٢٩] غير ناس نصيبه من دنياه، طامحا بطرفه إلى أعلى الدرجات في

(١٧٢٣) ساقط من ك، والنقل من د.

(١٧٢٤) دندش: "من".

(١٧٢٥) ك، د: "فذلك"؛ والتصويب من دندش.

(١٧٢٦) دندش: "وأرضى".

(١٧٢٧) دندش: "المائل".

(١٧٢٨) ك، د: "دكدورها"؛ والتصويب من دندش.

(١٧٢٩) دندش: "أخرى".

داريه، آخذا بأفضل الإقبال في حاليه، فلباس التقوى شعاره، والعمل الصالح دثاره، نهاره مقسوم[١٧٢٠] بين تلاوة القرآن، وإقامة الإحسان[١٧٢١]، وغوث مكروب، وفك عان مخروب، وسد ثغر، وصلاح أمر، وتدبير شرق وغرب بر وبحر، فأعين الرعية قائمة بشهادته[١٧٢٢]، وأنفس البرية مستريحة باجتهاده، لا جرم أن الله يصلح باله ويحسن مآبه، تصديقا لما قال جل جلاله: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ، وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً"[١٧٢٣]، وحقيق[١٧٢٤] بمن[١٧٢٥] اجتمعت فيه هذه الأخلاق الطاهرة، ونطق القرآن [ك:١٢٦] بإمامته / الباهرة، قال تعالى: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً، يَعْبُدُونَنِي وَلا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً"[١٧٢٦].

فالحمد لله الذي أنجز لأمير المؤمنين ما وعده، وحقق له التمكين وأيده، وأمن السبل بخلافته، وأقام الحق بإمامته، وسخر له من أوليائه من تنـ[ـا]فذ بطاعته وأوامره، ويوازره على فعل الخيرات ويظافره، وينشر دعوته، ويظهر سعده وكلمته، وينتهي إلى ما فرض -سبحانه- عليه من طاعة ولاة الأمر المفترضة

(١٧٢٠) ك: "نهاره مسقوم"؛ والتصويب من د ودندش.

(١٧٢١) ك، د، دندش: "احسان"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا.

(١٧٢٢) ك، د: "بشهادة"؛ والتصويب من دندش.

(١٧٢٣) سورة ٣٣ (الأحزاب)، آية ٧٠ م.

(١٧٢٤) كذا في ط، د؛ دندش: "خليق".

(١٧٢٥) ك، د، دندش: "لمن"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا.

(١٧٢٦) سورة ٢٤ (النور)، آية ٥٥ م.

بطاعته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، إذ يقول تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ"[١٢٣٧]. استمناحا لنعم الله التي لا تحد، واستمدادا من عوارفه التي لا تنفد.

ولما كان الأمير -أطال الله بقاءه- وأدام تمكينه ورفعته وسموه وبسطته، وكبت عدوه وحسدته، ممن صح عنده خلوص عقد ولايته، ولزوم طاعته لأمير المؤمنين، والصروف من أعدائه، وإظهار العدل في الرعية <اقمراتاراته>[١٢٣٨]، وتمسكا بما أمر الله -تعالى- به من مجاهدة أعدائه، وتحريض عساكر الإسلام على مجاهدة عدوهم وبذل نفوسهم، ومشاركته لهم في نعيمهم وبؤسهم، وما فتح الله لأمير المؤمنين على يديه من ثغور الإسلام بجزيرة الأندلس وما جاورها، مما كان العدو قد تغلب عليه واستباحه[١٢٣٩]، واستأصل شأفته واجتاحه، عند اختلاف الخوارج بها وتباين مقاصدهم، وعدولهم عن الواجب[١٢٤٠] في مصادرهم ومواردهم، انتهيت إلى المواقف المقدسة العلية، الشريفة النبوية المستظهرية، زاد الله في جلالها، وامتدادا ظلالها، هذه

[١٢٣٧] سبقت الإشارة إلى مرجعها، وهي سورة ٤ (النساء)، آية ٥٩ م.

[١٢٣٨] لفظان غير واضحين في ك، د؛ ساقط من دندش، لعلهما: اقتداء بآرائه.

[١٢٣٩] ك: "واستماحه"، والتصويب من د.

[١٢٤٠] دندش: "الواجبات".

الجملة[١٧٤١] فخرج / من الشكر[١٧٤٢] للأمير أطال الله بقاءه وأعلاه [بـ]ـإحماد طرائقه، وحسن سيرته، وجميل مقاصده، والدعاء بمشارفته[١٧٤٣] على جهاد عدو المسلمين، وتصديق ما جاء به عن سيد المرسلين: "لا زَالَ أَهْلُ المَغْرِبِ[١٧٤٤] عَلَى الحَقِّ ظَاهِرِينَ"[١٧٤٥]. وذلك لتصوغ عقائدهم في خلوص اليقين، واقتران مذهبهم بصحة[١٧٤٦] الدين، على يد الشيخ، الفقيه، أبي محمد، عبد الله بن محمد، المعروف بابن العربي، وابنه الفقيه، أبي بكر، محمد، أدام الله عزتهما ما يدهى به المغافر[١٧٤٧] وتتأرجج به سطور الدفاتر، وتنتعش به جدود العوائر. ولقد بالغ هذا الفقيه وولده في الثناء على الأمير وأطنبا[١٧٤٨] في وصف ما يعتمده مِنْ لزوم قوانين[١٧٤٩] العدل والإنصاف، ومجانبة طرق العسف والاعتساف.

ولمَّا كان رأينا في هذه الطائفة التي تأخذ في الحدود [ك: ١٢٧أ] الشرعية

[١٧٤١] كذا في ك، د؛ دندش: "وامتداد هذه الجملة". ولعل الصواب: وامتداد هذه الجملة في خلالها.

[١٧٤٢] كذا في ك، د، دندش؛ ولعل الصواب: فخرج التقليد الشريف، ليستقيم المعنى المقصود هنا

[١٧٤٣] ك، د: "بمشارمته". والتصويب من دندش.

[١٧٤٤] ك: "الغرب". والتصويب من د، ودندش.

[١٧٤٥] صحيح مسلم بشرح النووي، ١٣/٦٨

[١٧٤٦] ك، د: "عن صحة". والصواب ما أثبتنا.

[١٧٤٧] كذا في ك، د، دندش: "ما يؤيد به الغافر". ولعل الأقرب إلى الصواب: بما يزين به المنابر.

[١٧٤٨] مؤنس: "وأطنب".

[١٧٤٩] د: "قرائن".

بقولها، ونسخني في السياسة السلطانية / برأيها جميلا، وتكفلنا بالبر لمن أنسنا فيه الطريقة القويمة، وجنوحنا[١٧٥٠] إلى من عرفناه بصدق العزيمة، شكرنا لأمير المؤمنين -أطال الله بقاءه- اقتداء بهذه الطائفة في آرائه، ورجوعا إلى قولهم[١٧٥١] في الحالة، آخذا بآراء المواقف المقدسة -زادها الله مضاء- وامتثالا لقصدها. وكذلك هذا النقيب وولده -المتقدم[١٧٥٢] ذكرهما- ممن شاهدنا من حالهما[١٧٥٣]، وحسن هديهما، بما يقتضي تقريبهما وإدناءهما. فرأيناهما، واعتمدنا برهما وإكرامهما، وأصدرنا هذه الجملة القاضية بإحلال[١٧٥٤] الأمير محله المنيف، على استحقاقه الإجلال والتشريف، نظرا لمقالهما[١٧٥٥] وإحسانا، وتعطفنا عليهما وامتنانا. فليعتمد الأمير -أطال الله بقاءه- مصالح أمورهما، وليتوخ ما تعود من باستقامة شأنهما. وليولهما[١٧٥٦] حسن موقع النائبة <عنه>[١٧٥٧]، وليبذلهما صفحة الإقبال بمنه[١٧٥٨]. وليلزم تقوى الله فيما يجري من الأمور على

[١٧٥٠] ك: "وتمعرنا بالبر لمن أنسنا فيه الطرقة القويمة، وجنوحنا" د: "وكمعرنا بالبر لمن أنسنا منه الطريقة تقويمة وجنوحها"؛ دندش: "وتأمرنا بالبر لمن أنسنا من الطريقة القوية وجنوحها"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

[١٧٥١] دندش: "قلوبهم".

[١٧٥٢] ك، د، دندش: "المقدم" ولعل الصواب ما أثبتنا.

[١٧٥٣] د: "خالهما"؛ دندش: "خذلهما".

[١٧٥٤] د، دندش "بإجلال".

[١٧٥٥] ك، د: "مقالهما"؛ والتصويب من دندش.

[١٧٥٦] دندش: "ولينيلهما"؛ أعراب: "وليبوئهم"

[١٧٥٧] ساقط من دندش.

[١٧٥٨] دندش "بمنن"؛ أعراب: "منه".

يديه، وليراقبه -تعالى- فيما فرض[١٧٥٩] من أحوال الرعية إليه، وليعلم أن المصير والمرجع إليه! وليطالع[١٧٦٠] بأخباره - وما يحتاج[١٧٦١] إليه[١٧٦٢] -علم من بجهته إن شاء الله.

وكتب في الثاني عشر من رجب، سنة إحدى وتسعين وأربع مائة. والحمد لله وحده، وصلواته على سيدنا محمد نبيه وسلامه. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

[سؤال من أبي محمد ابن العربي إلى الإمام الغزالي يطلب منه فتوى وخطابا بشرعية جهاد يوسف بن تاشفين ضد ملوك الطوائف والنصارى بالأندلس]

:

وكان أشهر من لقينا من العلماء في الآفاق، ومن سارت بذكره الرفاق، لطول باعه في العلم ورحب ذراعه، الإمام أبو حامد بن محمد الطوسي الغزالي. فاستدعينا منه فتيا وكتابا، اختصرت لفظ الفتيا لوقت ضاق عن تقييدها، لكن أتيه على معناها وهو:

في علم الإمام ذكر[١٧٦٣] <ما تقدم>[١٧٦٤] في وصف خلال أمير المسلمين، وناصر الدين، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين، أمير المغربين: الأندلس والعدوة، وما أوضحت لديه من إعزاز [ه] الدين والذب عن المسلمين. وهو حميري

[١٧٥٩] ك، د، دندش: "فرض"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

[١٧٦٠] ك، د: "ويطالع"؛ والتصويب من دندش

[١٧٦١] ك، د، دندش: "احتاج"؛ والتصويب من أعراب.

[١٧٦٢] ك، د، دندش: "أعراب: "إلى"؛ والصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

[١٧٦٣] ك، د، دندش: "وذكر"؛ العبادي: "ما ذكر"، ولعل الصواب ما أثبتنا.

[١٧٦٤] سقط من العبادي.

النسب. وقبيله[١٧٦٥]: المرابطون. قد وقفوا أنفسهم على الجهاد. وقد كانت جزيرة الأندلس قد تملكها - من تاريخ ابتداء الفتنة، سنة أربعمائة - عدة ثوار تسوروا على البلاد. فضعف أهلها عن مدافعتهم، وتلقبوا بألقاب الخلفاء، وخطبوا لأنفسهم، وضربوا النقود بأسمائهم. وأثاروا الفتنة بينهم، لرغبة كل واحد منهم في الإستيلاء على صاحبه. واستنامو[١٧٦٦] النفاق من الأرقاء، والصنائع الطلقاء [د: ٤٩ ب] في محاربة بعضهم بعضا. واستنجدوا بالنصارى عندما اعتقد / كل واحد منه أنه أحق من صاحبه.

وعند ذهاب شوكة المسلمين، وانكشف للنصارى ضعف المسلمين. وعلموا المداخل والمخارج إلى بلاد المسلمين طلبوا[١٧٦٧] المعاقل، وأخذوا بالحرب كثيرا منها، من غير مؤنة ولا مشقة! ثم لجأ الباقي من المسلمين إلى المرابطين، واستصرخوهم. فلباهم أمير المسلمين، ووصل إلى الأندلس. فاستوقفه[١٧٦٨] بعض الرؤساء، وفاءا للمشركين، وحنقا[١٧٦٩] على المسلمين في استدعائهم له. ووصل الأمير إلى غرب الأندلس. فمنحه[ك: ١٢٨] الله النصر[١٧٧٠] وأنجم الكفار السيف / ثم عاود الجواز في العام الثالث من هذا الفتح، فتهيبه العدو وتحصن منه! ولم يخرج للقائه مع تثاقل الرؤساء عنه وعثر لأحدهم على خطاب

[١٧٦٥] د، دندش: "وقبيلة".

[١٧٦٦] ك، د، دندش: "وليستنامو"؛ والتصويب من العبادي.

[١٧٦٧] ك، د: "ثم طلبوا"، والتصويب من دندش.

[١٧٦٨] ك، د دندش، العبادي: "البحر فاستوقف"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

[١٧٦٩] ك، د: "وحقنا"، العبادي: "وحقدا"؛ والتصويب من دندش.

[١٧٧٠] طرة بيد أخرى في ك: "يعني يوم الزلاقة التي تشبه اليرموك والقادسية. قتل فيها من أهل الشرك نحو ثلاثمائة ألف من الرماة والفرسان الخ".

يشجع العدو على اللقاء، واستولى على من قدر عليه من الرؤساء على[١٢٧١] البلاد والمعاقل. وبقيت طائفة من رؤساء الثغر الشرقي من جزيرة الأندلس، حالفوا النصارى أو صاروا معهم إلبا، ودعاهم أمير المسلمين[١٢٧٢] إلى الجهاد، والدخول في بيعة الجمهور. فقالوا[١٢٧٣]: لا جهاد إلا مع إمام من قريش، ولست[١٢٧٤] به أو مع نائب[١٢٧٥] <عن إمام>[١٢٧٦] وما أنت ذلك. فقال: أنا خادم الإمام العباسي. فقالوا له: أظهر لنا تقديمه إليك؟ فقال: أو ليست الخطبة في جميع بلادي له؟ فقالوا: ذلك احتيال. ومن دواعي[١٢٧٧] النفاق

فهل يجب قتالهم؟ وإن ظفر بهم، كيف الحكم في أموالهم؟ وهل على مسلم حرج في قتالهم؟ وهل على الإمام العباسي أن يبعث له بمنشور يتضمن تقديمه له على جهادهم؟ فأنهم إنما خرجوا عليه [مع] أن[١٢٧٨] الأمير خادمه، وهو يخطب له على أكثر من ألفي منبر، وتضرب السكة باسمه، إلى غير ذلك. ومتى وصف نفسه قال: لست مستبدا وإنما أنا خادم أمير المؤمنين المستظهر.

[١٢٧١] ك، د: "عن". والتصويب من دندش.

[١٢٧٢] دندش: "المؤمنين".

[١٢٧٣] أعراب: "وقالوا".

[١٢٧٤] ك، د: "وليست"؛ والتصويب من دندش.

[١٢٧٥] ك، د: "أو مع نائبه عن إمام"؛ دندش: "أو نائبه عن إمام"؛ أعراب: "أو مع نائبه"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا.

[١٢٧٦] ساقط من أعراب.

[١٢٧٧] ك، د، العبادي: "ومردوا على"؛ والتصويب من دندش.

[١٢٧٨] ك، د، العبادي: "بأن"؛ دندش، أعراب: "لأن"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

وهذا أشهر[١٧٢٩] من أن يؤكد بالتحلية، وأظهر من أن يجدد[١٧٣٠] بالتزكية.

فالشيخ الإمام، الأجل الزاهد، الأوحد أبي حامد أتم الأجر، وأعم الشكر، في الإنعام بالمراجعة في هذا السؤال إن شاء الله.

[فتوى الغزالي إلى يوسف بن تاشفين بشرعية جهاده]

لقد سمعت من لسانه - وهو الموثوق به، الذي يستغني مع شهادته عن غيره، وعن طبقة من ثقاة المغرب الفقهاء وغيرهم- من سيرة هذا الأمير، أكثر الله في الأمراء أمثاله، ما أوجب الدعاء لأمثاله. ولقد أصاب الحق في إظهار الشعار الإمامي المستظهري. نشر[١٧٣١] الله على المستظهرين ظلاله.

وهذا هو الجواب على كل ملك استولى على قطر من أقطار المسلمين، في مشارق الأرض ومغاربها، فعليهم تزيين منابرهم بالدعاء للإمام الحق. بلغهم صريح التقليد من الإمام أو تأخر عنهم لعائق. وإذا نادى الملك المستولي بشعار الخلافة العباسية، وجب على كل الرعايا والرؤساء الإذعان والإنقياد، ولزمهم[١٧٣٢] السمع والطاعة، وعليهم أن يعتقدوا أن طاعته في طاعة الإمام، ومخالفته مخالفة الإمام؛ وكل من تمرد واستعصى وسل يده من الطاعة، فحكمه حكم الباغي. وقال الله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى، فَقَاتِلُوا الَّتِي

[١٧٢٩] د، دندش، أعراب: "أشد".

[١٧٣٠] دندش: "يجد".

[١٧٣١] ك، د: "حرس"؛ دندش: "في حرس"؛ والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

[١٧٣٢] كذا في ك، د، العبادي؛ دندش: "ولزومهم".

تبنغي حتى تفيء لأمر الله"[١٧٨٣]. والفيئة[١٧٨٤] إلى أمر الله: الرجوع إلى الخلافة العباسية. فكل متمرد على حق، فإنه مردود بالسيف إلى الحق. فيجب على الأمير وأشياعه قتال هؤلاء المتمردة عن طاعته. [د: ٥٠ أ] لا سيما وقد استنجدوا / بالنصارى المشركين أولياءهم -وهم أعداء الله- في [ك: ١٢٩] مقابلة المسلمين الذين هم أولياء[الله][١٧٨٥]. فمن <أعظم>[١٧٨٦] القربات قتالهم، إلى أن يعودوا إلى طاعة الأمير العادل، المتمسك بطاعة الخلافة العباسية. ومهما تركوا المخالفة وجب الكف عنهم. وإذا قوتلوا[١٧٨٧] لم يجز أن يتتبع مدبرهم، ولا أن يذفف على جريحهم، بل مهما سقطت شوكتهم وانهزموا، وجب الكف عنهم أعني[١٧٨٨] عن المسلمين منهم دون النصارى، الذين لا يبقى لهم عهد مع التشاغل بقتال المسلمين. وأما ما يظفر به من أموالهم فمردود عليهم أو على ورثتهم. وما يؤخذ من نسائهم وذراريهم في القتال مهدرة لا ضمان فيها. وحكمهم بالجملة في البغي على الأمير -المتمسك بطاعة الخلافة، المستولي على المنابر والبلاد بقوة الشوكة- حكم الباغي على نائب الإمام.

فإنه، وإن تأخر عنه صريح التقليد لاعتراض العوائق المانعة من وصول المنشور بالتقليد، فهو نائب بحكم قرينة الحال. إذ يجب على إمام العصر أن[١٧٨٩] يأذن، لكل إمام عادل استولى على قطر من أقطار الأرض، في أن يخطب

[١٧٨٣] سورة ٤٩ (الحجرات)، آية ٩ م.

[١٧٨٤] دندش: "والفيء".

[١٧٨٥] زيادة ليستقيم السياق.

[١٧٨٦] ساقط من دندش.

[١٧٨٧] العبادي: "قاتلوا".

[١٧٨٨] دندش: "أنه على".

[١٧٨٩] ك، د: "المصداق"؛ دندش، العبادي: "العصر أن"؛ والتصويب من أعراب.

له[1790] وينادي بشعاره، ويحمل الخلق على العدل والنصفة. ولا ينبغي أن يظن بالإمام توقف <في>[1791] الرضى بذلك والإذن فيه. فإن توقف في كتابه[1792] المنشور، فالكتب قد يعوق عن إنشائها وإيصالها المعاذير. وأما الإذن والرضى -بعدما ظهر حال الأمير في العدل والسياسة، وابتغاء المصلحة للتفويض والتعيين- فلا رخصة في تركه. وقد ظهر حال هذا الأمير بالإستفاضة ظهورا لا يشك فيه، وإن لم يكن عن إيصال الكتاب[1793] وإنشائه عائق، وكانت هذه الفتنة لا تنطفئ إلا بأن يصل إليهم صريح الإذن والتقليد، بمنشور مقرون بما جرت العادة بمثله في تقليد الأمراء، فيجب على حضرة الخلافة بذل ذلك. فإن الإمام الحق عاقلة أهل الإسلام، ولا يحل له أن يترك في أقطار الأرض فتنة ثائرة، إلا ويسعى في إطفائها بكل ممكن.

قال عمر -رضي الله عنه-: لو تركت حرمة[1794] على ضفة الفرات لم تحل بدلهاء[1795]، فأنا المسؤول عنها يوم القيامة، وقال سليمان بن عبد الملك يوما وقد أحدق به الناس: قد كثر الناس. فقال عمر بن عبد العزيز: خصماؤك يا أمير المؤمنين؛ يعني أنك[1796] مسؤول عن كل واحد منهم. إن ضيعت حق الله

(1790) ك، د، دندش، العبادي: "عليه"؛ والتصويب من أعراب.

(1791) ساقط من دندش.

(1792) ك: "وان توقف في كتبة"؛ والتصويب من د.

(1793) ك، د، دندش: "الكتب"؛ والتصويب من العبادي.

(1794) ك، د: "حرما"؛ دندش: "جدماء"؛ العبادي: "حرماء"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا.

(1795) دندش: "بدهناء".

(1796) د: "أنا".

فيهم أو أقمته. فلا رخصة في التوقف عن[٣٩٧] إطفاء الفتنة في قرية تحوي عشرة، فكيف في أقاليم وأقاليم[٣٩٨] إلا أن يعوق عن ذلك عائق، ويمنع منه مانع المواقف القدسية الإمامية المستظهرية حرس الله جلالها- أبصر بها.

ونحن نعلم أن لا يستجيز التوقف على إطفاء هذه الفتنة إلا لعذر ظاهر، وجب على أهل الغرب أن لا يعتقدوا في حضرة الخلافة إلا ذلك. فإن المسافة إذا بعدت وتخللها المارقون عن ربقة الحق، لم يبعد أن يقتضي الرأي الشريف صيانة الأوامر الشريفة عن أن تمتد إليها[٣٩٩] أعين أعداء الدولة. فضلا عن أيديهم.

وأما من يستجيز التوقف -فيها من غير عذر- عن التقليد لأمير [ك: ١٣٠] / قد ظهرت شوكته، وعرفت سياسته وتناطقت الألسن بعدله، ولمن يعرف في ذلك التطر من يجري مجراه، ويسد في هذا انحال مسده، وهذا اعتقاد فاسد في حضرة الخلافة، حاشاها من أن تنسب إلى قصور، أو تقتضي في نصرة أهل العدل المتمسكين[٤٠٠] بخدمتها والمعتصمين بعروتها القائمين في أقطار الأرض [د: ٥٠ ب] بإنفاذ شعائرها / وأوامرها المعلومة، بغرائب[٤٠١] الأحوال.

فهذا حكم كل أمير عادل في أقطار الأرض، وحكم من بغى عليه، والله أعلم.

---

[٣٩٧] د: "على".

[٣٩٨] ك، د، دندش: "وإقليم".

[٣٩٩] دندش: "بها".

[٤٠٠] دندش: "المتمنين".

[٤٠١] ك: العبادي: "بقرائن"، والتصويب من د، ودندش.

[كتاب من الغزالي إلى يوسف بن تاشفين يؤيده في جهاده ويوصيه بأبي محمد ابن العربي وابنه]

وأما الكتاب فنصه من أوله إلى آخره:

الأمير جامع كلمة المسلمين وناصر الدين، أمير المسلمين[١٨٠٢]، أبو يعقوب، يوسف بن تاشفين الداعي لأيامه بالخير، محمد بن محمد بن <محمد>[١٨٠٣] الغزالي.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيد المرسلين، وسائر النبيئين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَيَوْمٌ مِنْ سُلْطَانٍ عَادِلٍ، خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَبْعِينَ سَنَةً"[١٨٠٤].

وقَالَ صلى الله عليه وسلم: "مَا مِنْ وَالٍ عَشَرَةً إِلاَّ وَيُؤْتَى بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ مَغْلُولَةً يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ، أَوْ بَقَتْهُ جَوْرُهُ أَوْ

[١٨٠٢] ك. د. دندش، ع. و. بن منصور، رسالة من الإمام محمد (أبي حامد) الغزالي إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، ورسالة أبي بكر الطرطوشي إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، مجلة الوثائق، مجموعة تصدرها مديرية الوثائق الملكية بالرباط، مج. ١ الرباط ١٩٧٦ ٤-٢-٣١٩: "المومنين"؛ والصواب ما أثبتنا.

[١٨٠٣] ساقط من دندش.

[١٨٠٤] المغني عن حمل الأسفار للعراق ١٧٣/١، ٢١٥، بالموسوعة، ٨٩٣/٦.

أطلقه[1805] عدله"[1806] و<قال>[1807] رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلاَّ ظِلُّهُ"[1808]. وعد[1809] الإمام العادل أولهم. ونحن نرجو أن يكون الأمير جامع كلمة الإسلام، وناصر الدين، ظهير أمير المؤمنين، من المستظلين بظال عرشه، يوم لا ظل إلا ظله، فإنه منصب لا ينال إلا بالعدل في السلطنة. وقد أتاه الله السلطان، وزينه بالعدل والإحسان، وقد استطارت في الآفاق محامد سيره ومحاسن أخلاقه على الإجمال، حتى ورد الشيخ، الفقيه، الوجيه، أبو محمد عبد الله بن <محمد>[1810] بن العربي، الأندلسي، الإشبيلي حرس الله توفيقه- فأورد من شرح ذلك وتفصيله <ما>[1811] عطر به أرجاء العراق. فإنه لما وصل إلى مدينة السلام وحضرة الخلافة، لم يزل يطنب[1812] في ذكر ما كان عليه المسلمون في جزيرة الأندلس من الذل والصغار، والحرب والاستصغار، بسبب استيلاء أهل الشرك، وامتداد أيديهم إلى أهل الإسلام بالسبي والقتل والنهب، وتخرقهم إلى اهتضام[1813] أهل

(1805) ل، د، دندش: "طلقة"؛ والتصويب من ابن منصور.

(1806) إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ٣١٤/٨؛ كنز العمال للمتقي الهندي، بالموسوعة ٢٠٤/٩.

(1807) ساقط من د.

(1808) صحيح البخاري، ١٦٨/١، ١٢٨/٢، ١٢٦/٨، بالموسوعة، ٢٠٩/٥.

(1809) ابن منصور: "وعدل".

(1810) ل، د: "عمر"؛ ساقط من ابن منصور؛ والتصويب من دندش.

(1811) د: "من"؛ ساقط من دندش.

(1812) دندش: "يطلب".

(1813) دندش: "افتضاح".

الإسلام بما حدث بينهم من تفرق الكلمة، واختلاف <آراء>[١٨٠٤] الثوار المحاولين للاستبداد بالإمارة، وتقاتليهم على ذلك. حتى اختطف من بينهم حماة الرجال، بطول القتال، والمحاربة، والمنافسة. وأفضى[١٨٠٥] الأمر بهم، إلى الإستنجاد بالنصارى حرصا[١٨٠٦] على الإنتقام. إلى أن أوطؤوهم بيضة الإسلام، وكشفوا إليهم الأسوار حتى أشرفوا على التهائم والأغوار. فرتبوا عليهم الجزاء، وجــــاازوهم بشر الجزاء. ولما استنفدوا من عندهم [ك: ١٣١] الأموال، أخذوا في نهب المناهل وتحصيل المعاقل! واستصرخ / المسلمون عند ذلك بالأمير ناصر الدين، وجامع كلمة المسلمين، ظهير أمير المومنين ابن عم سيد المرسلين، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين. واستصرخه[١٨٠٧] معهم بعض الثوار المذكورين <ليأسهم>[١٨٠٨] عن مداراة المشركين. فلبى دعوتهم، وأسرع لنصرتهم[١٨٠٩]، وأجاز البحر بنفسه ورجاله <وماله>[١٨١٠]، وجاهد في الله حق جهاده. ومنحه الله -تعالى- استئصال شأفة المشركين، [و]الإفراج[١٨١١] عن حوزة المسلمين.

[١٨٠٤] ساقط من دندش.

[١٨٠٥] ابن منصور: "وافضاء": دندش "وأفضاء".

[١٨٠٦] ك، د: "حرحا"؛ والتصويب من ابن منصور ودندش.

[١٨٠٧] دندش: "واستصرفه".

[١٨٠٨] ساقط من ابن منصور.

[١٨٠٩] ك، د: "واسرغ نصرتهم"؛ ابن منصور: "وأسرغ إلى نصرتهم"؛ والتصويب من دندش.

[١٨١٠] ساقط من دندش.

[١٨١١] الزيادة من ابن منصور؛ دندش: "للأفراج".

جزاه الله -تعالى- أفضل جزاء المحسنين[١٨٢٢]، وأمده بالنصر والتمكين. وذكر متابعته الغزو[١٨٢٣] إلى جهة أخرى بعد ثلاثة أعوام من هذه[١٨٢٤] الغزوة المشهورة، وقتل كل من ظهر من النصارى بالجزيرة المذكورة، من الخارجين لإمداد ملوكها على عادتهم، أو من سراياهم، في[١٨٢٥] أيـ[ـة] جهة يمموا[١٨٢٦] من جهات المسلمين. فقذف[١٨٢٧] الله الرعب في قلوب المشركين، حتى أغناه ذلك عن جر العساكر والجنود، وعقد الألوية والبنود. وذكر أولائك[١٨٢٨] الثوار، لما أيقنوا قوة الأمير ناصر الدين، وغلبته لحزب المشركين، وسألهم رفع المظالم عن المسلمين التي كانت مرتبة عليهم لجزية[١٨٢٩] المشركين، وإمدادهم بها لهم، مداراة لبقاء إمرتهم، عادوا إلى معالاة المشركين، وألقوا إليهم القول من جهة الأمير، وجرؤوهم على لقائه [د: ٥١ أ] / وصح ذلك عنده وعند المسلمين. فسأله المسلمون عند ذلك إنزال هؤلاء الثوار عن البلاد. وتداركها -ومن فيها من المسلمين- قبل أن يسري الفساد. ففعل ذلك.

ولما تمكنها، رفع المظالم وأظهر <فيها>[١٨٣٠] من الدين المعالم،

[١٨٢٢] دندش: "المسلمين".

[١٨٢٣] ك، د: "العدوة"؛ دندش: "الغزوة"؛ والتصويب من ابن منصور.

[١٨٢٤] دندش: "هذه الهزيمة".

[١٨٢٥] دندش: "من".

[١٨٢٦] ك، د: "يمنوا"؛ دندش: "يأمنوا". والتصويب من ابن منصور.

[١٨٢٧] ك، د، ابن منصور: "وقذف". دندش: "وقد بث". ولعل الصواب ما أثبتنا.

[١٨٢٨] د: "ذلك".

[١٨٢٩] دندش، ابن منصور: "بجزية".

[١٨٣٠] ساقط من دندش.

ويبدد[١٨٣١] المفسدين، / واستندل بهم الصالحين. ورتب الجهاد وقطع مراد الفساد[١٨٣٢].

ثم أضاف إلى ذكر ذلك ما شهده من تلك السجية الكريمة. في إكرام أهل العلم وتوقيره لهم، وتنويهه[١٨٣٣] <باسم>[١٨٣٤] واتباعه لما يفتون به[١٨٣٥] من أحكام الله -تعالى- وأوامره ونواهيه، وحمل عماله على السمع والطاعة لهم. وتزيين منابر المملكة الجديدة والقديمة بالخطبة لأمير المؤمنين -أعز الله أنصاره- وإلزامه المسلمين البيعة[١٨٣٦]، وكانوا قبل ذلك منكفين عن البيعة والنداء بشعار الخليفة. إلى غير ذلك مما شرحه من عجائب سيرته، ومحاسن أحواله ومكارم أخلاقه.

وكان منصبه في غزارة العلم ورصانة العقل ومتانة الدين، يقتضي التصديق له في روايته، والقبول لكل ما يورده من صدق كلمته.

وإنه لما أفاض[١٨٣٧] من هذه الفضائل إلى حضرة الخلافة -أعز الله أنصارها- وقع[١٨٣٨] ذلك موقع الإحماد. ثم ذكر مع ذلك توقف طائفة من الثوار الباقين في شرق الأندلس عن متابعة الأمير ناصر الدين ومتابعته. وإنهم حالفوا

[١٨٣١] دندش: "وأبعد عنه".

[١٨٣٢] دندش: "المسلمين".

[١٨٣٣] ك، د: "وتنزيهه"؛ دندش: "وتنزيههم"، والتصويب من ابن منصور.

[١٨٣٤] ساقط من دندش.

[١٨٣٥] ك، د: "يمشون إليه"؛ دندش: "يفتون إليه"، والتصويب من ابن منصور.

[١٨٣٦] دندش: "والزام المسلمين بالبيعة".

[١٨٣٧] ك، د: "وإنه ما أفاضه"، ابن منصور: "وإن ما أفاضه"؛ دندش: "وإنه ما أفاض"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

[١٨٣٨] ك، د، دندش: "فوقع"، والتصويب من ابن منصور.

النصارى واستنجدوا[١٨٣٩] بهم. فأعلن المسلمون بالدعاء عليهم والتبري منهم، ليتوب عليهم أو ليقطع شأفتهم.

وكتب هذا الشيخ سؤالا على سبيل الإستفتاء[١٨٤٠]، وأفتيت فيه بما [ك: ١٣٢] اقتضاه الحق/ وأوجبه الدين.

وأعجلني المسير إلى سفر الحجاز، وتركته مشمرا عن ساق الجد في طلب خطاب شريف من حضرة الخلافة، يتضمن شكر صنيع الأمير[١٨٤١]، ناصر الدين، في حمايته لثغور المسلمين. <ويشتمل على تسليم جميع بلاد المغرب إليه، ليكون رؤساؤها ومرؤوسها[١٨٤٢] تحت طاعته. وأن من خالف أمره، فقد خالف أمر أمير المؤمنين ابن عم سيد المرسلين، ويتعين جهاده على كافة المسلمين>[١٨٤٣].

ولم يبالغ أحد في <بث>[١٨٤٤] مناقب قوة مبالغة الشيخ، الفقيه، أبي محمد، في بث مناقب الأمير وأشياعه المرابطين. <ولقد شاع دعاؤه في المشاهد الكريمة بمكة -حرسها الله- لحضرة الأمير، وجماعة المرابطين>[١٨٤٥]. ولم يقنعه ما فعله بنفسه إلى أن كلف، جميع من رجا بركة دعائهم، الدعاء له في تلك المشاهد الكريمة، والمناسك العظيمة. وأعلن بالدعاء لأمير بلده الأجل، أبي محمد سير بن أبي بكر -وفقه الله تعالى- وذكر من فضله وحسن سيرته، وتلطفه

[١٨٣٩] د: "من استنجدوا".

[١٨٤٠] ك د: "الاستيفاء"؛ والتصويب من ابن منصور، ودندش.

[١٨٤١] أعراب: "للأمير".

[١٨٤٢] ك، د، دندش: "رئيسهم ورؤوسهم"؛ ابن منصور: "رئيسهم ومرؤوسهم". ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

[١٨٤٣] ساقط من أعراب.

[١٨٤٤] ساقط من أعراب.

[١٨٤٥] ساقط من دندش وأعراب.

بالمسلمين، ورفع جميع النوائب عنهم، ما جذبه[١٨٤٦] إلى النفوس.

ولقد دعي[١٨٤٧] الشيخ الفقيه إلى المقام ببغداد على البر والكرامة، والاتصال <بأسباب>[١٨٤٨] يتشرف بها من حضرة الخلافة. فأبى إلا الرجوع إلى ذلك الثغر، يلازمه للجهاد مع الأمراء. وفقهم الله تعالى. ولو أقام، لفاز بالحظ الأوفى من التوقير والإكرام، وما أجدر مثله بأن يوفى حظه من الاحترام! وولده الشيخ الإمام أبو بكر، قد أحرز من العلم، في وقت تردده إلي[١٨٤٩]، ما لم يحرزه غيره مع طول الأمد، وذلك لما خص به <من>[١٨٥٠] مضاء[١٨٥١] الذهن، وذكاء الحس، وانقاد القريحة[١٨٥٢]. وما يخرج من العراق إلا هو مستقل بنفسه، حائز قصب السبق بين أقرانه. ومثل هذا الوالد والولد <قمين>[١٨٥٣] بالإكرام في الوطن، وقد تميزا بمزية[١٨٥٤] التوفيق من الأعيان في الغربة. والله يحفظ من

(١٨٤٦) ك، د، ابن منصور: "جهد به"، والتصويب من دندش.

(١٨٤٧) ك، د، دندش: "دعا"؛ ابن منصور: "دعي"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

(١٨٤٨) ساقط من دندش.

(١٨٤٩) دندش: "إليه".

(١٨٥٠) ساقط من دندش.

(١٨٥١) ك، د: "نعاية"، ابن منصور: "ثقوب"؛ دندش: "بصفاء"؛ أعراب: "توقد"، ولعل الصواب ما أثبتنا.

(١٨٥٢) د: "وانفاذ القريحة"؛ دندش: "وانقاد القريحة"؛ أعراب: "وانفاذ البصيرة".

(١٨٥٣) ك: "قمن"، د: "فصن"؛ ابن منصور: "خص"؛ ساقط من دندش؛ والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

(١٨٥٤) ابن منصور: "بمزيد".

حفظهما، ويرعى من يرعاهما. فرعاية أمثالهما من آداب الدين، المعينة لأمير[1855] المسلمين. وقد قال المحسنون: فليستوص بمن ظفر بهما خيرا[1856]. وكم دخل قبلها العراق -ويدخل بعدها من تلك البلاد النائية[1857] وما [د: ٥١ ب] يذكر محاسنها[1858] / ولا يرفع مساوءها. وقد انتهى الشيخ الفقيه من ذلك، إلى ما لا يمكن أن يلحق فيه ثناؤه[1859]، فضلا عن أن يزاد عليه. والله -تعالى- يعمر بهما أوطانهما، ويصلح شأنهما، ويوفق الأمير ناصر المسلمين، ليتوسل إلى الله -تعالى- في القيام بإكرام[1860] أهل العلم. فهو[1861] أعظم وسيلة عند رب العالمين. ونسأل الله أن يخلد ملك الأمير ويؤيده، تخليدا لا ينقطع أبد الدهر. ولعل القلوب تنفر من[1862] هذا الدعاء، وتستنكر لملك العباد التأييد والبقاء! وليس كذلك، فإن ملك الدنيا إذا تزين <بالعدل>[1863] فهو شبكة

(1855) ك، د، ابن منصور، دندش: "على أمير"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا.

(1856) ك، د، ابن منصور: "ظفر بهم منهم خيرا"؛ دندش: "ظهر بهم خيرا"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

(1857) ك، د: "الثانية"، والتصويب من ابن منصور ودندش.

(1858) ك، د، دندش: "محاسنها"؛ والتصويب من ابن منصور.

(1859) دندش: "شأوه".

(1860) ك، د، ابن منصور: "في القيامة بإكرام"؛ دندش: "في القيامة اكرام"؛ والصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق والمعنى.

(1861) ك، د، ابن منصور، دندش: "فهي"؛ والصواب ما أثبتنا يستقيم المعنى.

(1862) ك، د: "يتفر عن"؛ ابن منصور: "تنفر عن"؛ دندش: "تنبو عن"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى والسياق.

(1863) ساقط من دندش.

<ملك>[١٨٦٤] الآخرة. فالسلطان[١٨٦٥] العادل، إذا انتقل من الدنيا، انتقل من سرير إلى سرير أعظم منه ومن ملك إلى ملك أجل وأرفع منه! "وإذا رأيت. [ك: ١٢٣] ثم، رأيت نعيماً وملكاً / كبيراً"[١٨٦٦]. ومهما وفى العدل في الرعية، والنصفة في القضية، فقد خلد ملكه وأيد سلطانه. وقد وفق له بحمد الله ومنه.

والحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد خاتم النبيين، وآله أجمعين.

ثم قلنا: وقد قضينا من الهجرة إلى [حاضرة][١٨٦٧] الخلافة المفترض، وحصلنا من العلوم على بعض الفرض، وكان يؤدي أن لو أتلفت هناك ورد شبيبتي[١٨٦٨]، وأفنيت معهم بقية عمري، لكن[١٨٦٩] سوابق المقدار تجري على الاضطرار [لا] الاختيار[١٨٧٠].

[١٨٦٤] ساقط من ابن منصور.

[١٨٦٥] ابن منصور: "فإن السلطان".

[١٨٦٦] سورة ٧٦ (الإنسان)، آية ٢٠م.

[١٨٦٧] زيادة ليستقيم المعنى.

[١٨٦٨] ك، د: "احتلفت هناك فرد شبيبتي"؛ دندش: "احتلفت هناك فرد شبيبتي"؛ أعراب: "اخلقت هناك برد شبيبتي" ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

[١٨٦٩] ك، د: "لكان"، والتصويب من دندش.

[١٨٧٠] ك، د، دندش: "الاضطرار والاختيار"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

وفي أثناء القفول، لقيت[١٨٧١] زاهد الوقت <مبرءا من المقت>[١٨٧٢]، المحرز من العلوم كل عال[١٨٧٣] وتحت، الحائك منها كل خشن شخت[١٨٧٤]، أبا بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي، بثغر الإسكندرية، اللقاءة الثانية. وأقمت معه فيها، نتجاذب ذيول الإشكال، ونختبر فصول القيل والمقال، حتى صدرت عنه مملوء الحقائب من الرغائب. وكتب لي كتابا، نسخته من أوله إلى آخره.

[رسالة من أبي بكر الطرطوشي يعظ فيها يوسف بن تاشفين ويوصيه بأبي بكر ابن العربي]

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن الوليد الطرطوشي إلى الأمير، أبي يعقوب، [يوسف] بن تاشفين.

سلام عليك.

أما بعد، فإني أحمد الله[١٨٧٥] إليك، الذي لا إله إلا هو، وأشكره لديك كثيرا كما هو أهله[١٨٧٦] وأحسنت من مواعظه وحكمه. إن أخذت به نجوت من عظيم ما ركبت، إن شاء الله -تعالى- ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

[١٨٧١] كذا في ك، د: دندش: "لقيت ذلك الوقت".

[١٨٧٢] ساقط من دندش.

[١٨٧٣] ك: "هال" ودندش: "مهان"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

[١٨٧٤] دندش: "شيخنا".

[١٨٧٥] ابن منصور: "إليك الله".

[١٨٧٦] دندش: "أهلك".

قال الله -سبحانه- "يا داوُدُ إنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ، فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالحَقِّ". إلى قوله: "يَوْمَ الحِسَابِ"[١٨٧٧].

قال سلمان[١٨٧٨] الفارسي -رضي الله عنه-: أتعلمون من الخليفة؟ الخليفة هو الذي يمضي بكتاب الله، ويشفق[١٨٧٩] على الرعية شفقة الرجل على أهله.

وقال سبحانه وتعالى "الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ، وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ"[١٨٨٠]. فمن مكنه الله في الأرض، وآتاه الله سلطانا، ولم يفعل ما أمره الله -تعالى- به في هذه الآية، خفنا ألا يكون من أهلها! لأن الله -تعالى- وصف هذه الأمة بأن[١٨٨١] فتح الله -تعالى- عليهم الأرض، وأهلك عدوهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر.

وقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "مَا مِنْ أَحَدٍ يَلِي عَمَلاً أَوْ نَالَ[١٨٨٢] سُلْطَاناً إِلا اهْتَزَّ بِهِ الصِّرَاطُ حِينَ يَرْكَبُهُ، حَتَّى يَزُولَ كُلُّ عَظْمٍ عَنْ جُثَّتِهِ، فَإِنْ كَانَ مُحْسِناً نَجَا، وَإِنْ كَانَ مُسِيئاً هَوَى سَبْعِينَ خَرِيفاً"[١٨٨٣] فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- قال: ومن يرغب

[١٨٧٧] سورة ٣٨ (ص)، آية ٢٦ م.

[١٨٧٨] ك: "سليمان": والتصويب من د، ودندش.

[١٨٧٩] ك، د: "وشفق": والتصويب من ابن منصور ودندش.

[١٨٨٠] سورة ٢٢ (الحج)، آية ٤١ م.

[١٨٨١] ك، د، ابن منصور: "إذا"؛ دندش: "إذ"، ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

[١٨٨٢] ك، د، ابن منصور: "قال": والتصويب من دندش.

[١٨٨٣] دندش: "ضريفا". وانظر الحديث في مستدرك الحاكم، ٤/٩٠، بالموسوعة، ٢٢٢/٩.

في العمل بعد هذا؟! قال له أبو ذر رضي الله عنه: من سلب الله أذنه وأصغر خده

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال: "مَا مِنْ وَالٍ [ك: ٤٢أ] يَلِي رَعِيَّةَ الْمُسْلِمِين فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ إِلاَّ حَرَّمَ اللَّهُ / -تعالى- عَلَيْهِ الْجَنَّةَ"[١٨٨٤]. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم- قال للعباس عمه لما قال له: أمرني على إمارة. فقال له رسول الله صلى الله [د: ١٣٤] عليه وسلم: " يَا عَبَّاس ، يَا عَمّ[١٨٨٥] رَسُولِ اللَّهِ! نَفْسٌ تُحْيِيهَا / خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لا تُحْصِيهَا. إِنَّ الإِمَارَةَ حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لا تَكُونَ أَمِيرًا فَافْعَلْ"[١٨٨٦].

وروي أن رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم- قال: "أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ. والرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَمَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهَا. وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَنْ مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ. أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"[١٨٨٧].

ولقد بلغ هذا من نفوس الصحابة والخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين، مبلغا ذهلت[١٨٨٨] له عقولهم، وطاشت[١٨٨٩] حلومهم. فروي أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مر بطريق مكة، فأبصر راعيا يرعى بمكان جدب، فناداه: يا راع! قد رأيت مكانا هو أخصب من مكانك، فالحق به. ثم قال: كل راع

[١٨٨٤] صحيح البخاري، ٨٠/٩؛ فتح الباري لابن حجر، ١٢٧/١٣، بالموسوعة: ٣٠٤/٩.

[١٨٨٥] ك، د: "يا عمي". والتصويب من دندش.

[١٨٨٦] طبقات ابن سعد، ١٨/١، بالموسوعة، ٢٠٢/١١.

[١٨٨٧] صحيح البخاري، ٧٧/٩، بالموسوعة، ١١/٤.

[١٨٨٨] دندش: "ومالت".

[١٨٨٩] دندش: "ولانت".

مسؤول عن رعيته.

وقال علي [ابن أبي طالب]: رأيت عمر بن الخطاب يغدو على قتب، فقلت: إلى أين؟ فقال: بعير من إبل الصدقة قد ند، وأنا أطلبه. فقلت: أذللت الخلفاء بعدك يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا تلمني يا أبا الحسن، فوالذي بعث محمدًا بالنبوة، لو أن نخلة[٥٨٩٠] ذهبت بشاطىء الفرات، لأعذب بها[٥٨٩١] <حسرة>[٥٨٩٢] يوم القيامة. ألا إنه لا حرمة لوالي ضيع المسلمين!

يا أبا يعقوب، لقد بليت بأمر، لو حملته السماوات لانفطرت، ولو حملته النجوم لانكدرت، ولو حملته الأرض والجبال لتزلزلت وتدكدكت[٥٨٩٣]. إنك حملت الأمانة التي عرضت على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها.

فروي أن آدم -صلوات الله عليه- لما استخلفه الله -تعالى- في الأرض على ذريته، وما فيها من الأنعام، وعهد إليه عهودا، أمره فيها ونهاه، فقام فيها بأمر الله -سبحانه- إلى أن حضرته الوفاة، فسأل[٥٨٩٤] الله -سبحانه- أن يعلمه من يستخلفه ويقلده من الأمانة ما قلده. فأمره[٥٨٩٥] أن يعرض ذلك على السماوات بالشرط الذي أخذ عليه من الثواب إن أطاع، ومن العقاب إن أعصى. فأبين أن يقبلنه شفقا من عقابه. ثم أمره أن يعرضه على الجبال والأرض، فأبينها أيضا ثم

(٥٨٩٠) ك، د، ابن منصور: "نحلة"؛ دندش: "سخلة"؛ والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

(٥٨٩١) ك، د: "لاحد بها"؛ ابن منصور: "لأجد بها"؛ دندش: "لا خذ بها عمر"؛ والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

(٥٨٩٢) ساقط من د، ودندش.

(٥٨٩٣) ك: "وتدكدكته"؛ والتصويب من د، ابن منصور ودندش.

(٥٨٩٤) دندش: "فسأله"

(٥٨٩٥) ك، د، ابن منصور، دندش: "فأمر"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

أمره أن يعرضه[٨٩٦] على ولده، فقبله ولده، على شرط أن له الثواب إن أطاع والعقاب إن عصى، فوبخه الله -تعالى- على مسارعته إلى قبول ذلك. فقال: "وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا"[٨٩٧] لنفسه، جهولا بعقابه، وما تقلد لربه. وكان الفرض تخييرا لا وجوبا[٨٩٨].

وروي أن عمر ابن عبد العزيز، لما أفضت إليه الخلافة، سمعوا في منزله بكاءا عاليا[٨٩٩]، فسئل عن البكاء فقيل: إن عمر خير جواريه، وقال: قد نزل بي أمر شغلني عنكن، فمن أحبت أن أعتقها أعتقتها، ومن أحبت أن أمسكها، لن[٩٠٠] يكن لها نصيب مني! قال: فبكين يأسا منه. ثم دعى أفاضل المسلمين في زمانه، وعلماءهم في وقته: سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب، ورجاء بن حيوة. فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا الأمر! فأشيروا علي. فعد الخلافة بلاء، وأنت ونظراؤك تعدون هذا البلاء نعمة! فقال له سالم بن عبد الله: يا أمير المؤمنين، إن [ك: ١٣٥] أردت النجاة من عذابها / فصم عن الدنيا، وليكن إفطارك فيها الموت. وقال محمد بن كعب: إن أردت النجاة عن عذاب الله فليكن كبير المسلمين لك أبا، وأوسطهم عندك أخا، وأصغرهم ولدك. فوقر أباك، وارحم

---

(٨٩٦) دندش: "يعرض".

(٨٩٧) سورة ٣٣ (الأحزاب)، آية ٧٢ م.

(٨٩٨) ك، د، ابن منصور، دندش: "أيجابا"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

(٨٩٩) كذا في ك، د، ابن منصور، دندش؛ ولعل الصواب "سمع في منزله بكاء عالي" ليستقيم السياق.

(٩٠٠) ك، د، ابن منصور، دندش: "لم"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى والسياق.

<أخاك>(٩٠١) ونحن(٩٠٢) على ولدك.

وقال له رجاء بن حيوة: إن أردت النجاة من عذاب الله غدا [د: ٥٢ ب] أحب(٩٠٣) للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت متى شئت! وإني لأخاف عليك أشد الخوف! فاتق الله يا أبا يعقوب في أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فإن لك مع الله تعالى موقفا يسائلك فيه عنهم، شخصا شخصا، ذكرا وأنثى، صغيرا وكبيرا، حرا وعبدا، ومسلما وذميا، فأعد لذلك المقام كلاما، ولذلك السؤال جوابا فالذي نفسي بيده أن ذلك لحق مثل ما أنكم تنطقون.

روى عبد الله بن عمر، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "ما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا وَيَخْلُو بِرَبِّهِ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، ولا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ(٩٠٤) يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسَةٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاهُ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وأَيْنَ أَنْفَقَهُ؟ وماذا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ؟"(٩٠٥).

واعلم يا أبا يعقوب، فإنه <لا>(٩٠٦) يزني فرج في ولايتك ومدى سلطانك وطول عمرك، إلا كنت(٩٠٧) المسؤول عنه، والمرتهن بجريرته! وكذلك لا يشرب فيها نطفة مسكر إلا وأنت المسؤول عنها، ولا ينتهك فيها عرض امرىء

---

(٩٠١) ساقط من دندش.

(٩٠٢) دندش: "واحنو".

(٩٠٣) ل: "عذابا حب"؛ د: "حب"، والتصويب من ابن منصور ودندش.

(٩٠٤) دندش: "ولا شيء قدمه غفر".

(٩٠٥) إتحاف السادة المتقين للزبيدي ١٠/٤٧٠؛ المعجم الكبير للطبراني ١١/١٠٢؛ بالموسوعة ٧:١١٥، ٩/٢١٢.

(٩٠٦) ساقط من دندش.

(٩٠٧) دندش: "أنت".

مسلم إلا وأنت المطالب به، ولا يتعامل فيها بالربا إلا وأنت المأخوذ به، وكذلك سائر المظالم. وكل حرمة انتهكت من حرمات الله -تعالى- فعهدتها عليك، لأنك قادر على تغييرها. فأما ما خفي من ذلك ولم يكن ظاهرا يراه المسلمون فأنت المبرأ منه إن شاء الله تعالى. ألا ترى إلى عمر بن الخطاب، كيف أشفق أن يطالبه الله ببعير من إبل الصدقة؟ وإنما هو البعير للمسلمين، فركب على بعيره وجعل يطلبه[(٩٠٨)] بنفسه؟ ولا عذر لك عند الله -تعالى- أن تقول لم يبلغني، فإنك إذا احتجبت عن المسلمين، فكيف تعلمه وتراه؟

قال الله -تعالى-: "كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ. لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ"[(٩٠٩)]، من تركهم الإنكار. وإنما قاله[(٩١٠)] لقوم سخط عليهم. هذا بين[(٩١١)] الأكفاءِ والنظراء[(٩١٢)]، فما ظنك بين الولاة والأمراء؟

قال الله -سبحانه-: "يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا، وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا، وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا"[(٩١٣)]. <جاء>[(٩١٤)] في التفسير: الصغيرة التبسم، والكبيرة الضحك.

ولقد بلغني أن عبد الله العمري لما حج، لقي هارون الرشيد في الطواف، فقال: يا هارون! فنظر إليه الرشيد، فعرفه، فقال: لبيك يا عمارة. فقال: كم ترى

---

(٩٠٨) ك، د: "يطلب"؛ والتصويب من ابن منصور، ودندش.

(٩٠٩) سورة ٥ (المائدة)، آية ٦٧ م.

(٩١٠) دندش: "لتوليهم".

(٩١١) دندش: "من".

(٩١٢) دندش: "والنظر".

(٩١٣) سورة ١٨ (الكهف)، آية ٤٩ ك.

(٩١٤) ساقط من د، ودندش.

ما هنا من خلق؟ قال: لا يحصيهم إلا الله تعالى. قال: فاعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه، وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم! فانظر كيف تكون؟ فبكى هارون الرشيد بكاءً شديدا. فجعلوا يعطونه منديلا يمسح به دموعه. قال له: والله يا هارون، إن الرجل ليسرع في مال نفسه فيستحق الحجر عليه، فكيف بمن يسرع في مال المسلمين؟

ولما دخل طاووس[995] اليماني على سليمان بن عبد الملك، قال: يا أمير المؤمنين، هل تدري من أشد الناس عذابا يوم القيامة؟ قال سليمان: قل. قال: أشد عذابا يوم القيامة من أشركه[996] الله في ملكه، فجار في حكمه. فاستلقى سليمان بن عبد الملك على [ك. ١٢٦] سريره / باكيا. فما زال باكيا حتى قام عنه جلساؤه.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إن الملك إذا ملك، زهده الله في ماله، ورغبه في مال غيره، وأشرب قلبه[997] الإشفاق من الفقر. فهو يسخط على القليل، يحسد على الكثير، حتى إذا قضى الله نحبه[998] حاسبه بأشد حسابه وأقل عفوه.

فاحذر يا أبا يعقوب أن ترد على جنة عرضها السماوات والأرض، فلا يكون لك فيها موقف قدم. أعاذنا الله وإياك من هذا الموقف.

[د: ٥٣ أ] ولقد بلغني، يا أبا يعقوب، أنك احتجبت / عن المسلمين بالحجارة والطين، واتخذت دونهم حجابا. وأن طالب الحاجة ليظل يومه

---

(995) زيادة من ابن منصور، ودندش.

(996) دندش: "أشرك".

(997) ك، د: "وأشرف قلبه"؛ والتصويب من ابن منصور، ودندش.

(998) دندش: "مضى الله عليه".

بِبابك[١٩١٩] فما يلقاك، كأنك لم تسمع قول الله عز وجل: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ﴾[١٩٢٠] قال الحسن: لا والله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، تغلق دونه الحجب، ولا يغدى عليه بالجفان[١٩٢١] ولا يراح عليها بها، ولكنه كان بارزا، من أراد أن[١٩٢٢] يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم- لقيه. وكان يجلس بالأرض، ويضع[١٩٢٣] طعامه في الأرض، ويلبس الغليظ. ويركب الحمار ويردف عليه عبده، ويلعق أصابعه. وكان يقول، "مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"[١٩٢٤].

قال الحسن: فما أكثر الراغبين عن سنته[١٩٢٥] التاركين لها.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه- يأخذ درته[١٩٢٦] ويمشي في الأسواق، ويتفقد أمر رعيته، وكان يعس ليلا في سكك المدينة مع عبد الرحمن بن عوف وغيره من الصحابة رضي الله عنهم يحفظون عورات المسلمين. فروي عنه أنه استعمل سعد[١٩٢٧] بن أبي وقاص على الكوفة، فبلغه أن سعدا اتخذ قصرا، وجعل عليه بابا، وقال: انقطع التصويت. فأرسل إليه محمدا بن أبي مسلمة

[١٩١٩] د ندش: "يوم يسائل".

[١٩٢٠] سورة ٢٥ (الفرقان)، آية ٧ ك.

[١٩٢١] د ندش: "يغدي عليه بالجفان".

[١٩٢٢] د ندش: "ولكن كان كل من أتى".

[١٩٢٣] ك، د، ابن منصور: "يوضع"، والتصويب من د ندش

[١٩٢٤] صحيح البخاري، ٢/٧؛ صحيح مسلم، النكاح، ٥. بالموسوعة، ٢٨٠/٨.

[١٩٢٥] ك، د. د ندش: "سنة"؛ والتصويب من ابن منصور، ليستقيم المعنى.

[١٩٢٦] ابن منصور: "ذريته".

[١٩٢٧] ك، د: "سعيد"، والتصويب مما سيرد بعده، ومن ابن منصور، ودندش.

وقال: إيت[١٩٢٨] سعدا فاحرق <عليه>[١٩٢٩] بابه. فأتى الكوفة وأخرج زنده[١٩٣٠]، واستورى ناره، ثم أحرق الباب. فجعل سعد يعتذر، ويحلف بالله ما قال. فقال له محمد بن مسلمة: تفعل ما أمرتك به، وتوري عنك القول.

يا أبا يعقوب، ولقد بلغني أنك استأثرت على المسلمين بالحظ الوافر من حطام الدنيا وزخرفها، فلبست الناعم وأكلت اللين[١٩٣١] وتمتعت بلذاتها وشهواتها، كأنك لم تسمع قول الله عز وجل: "أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا"[١٩٣٢] أو لم تسمعه -سبحانه- يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: <" وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا >[١٩٣٣] لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ"[١٩٣٤].

ولقد روت عائشة -رضي الله عنها- قالت: لقد كان يمر علينا الشهران والثلاثة، ما توقد في بيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نار. قيل: فما كان عيشكم؟ قالت: الأسودان[١٩٣٥]: التمر والماء.

ولقد روي أن فاطمة -رضي الله عنها- قالت: خبزت رغيفا من[١٩٣٦]

(١٩٢٨) ابن منصور، دندش: "إذا رأيت".

(١٩٢٩) ساقط من دندش.

(١٩٣٠) دندش، "زنادة".

(١٩٣١) دندش، "اللين".

(١٩٣٢) سورة ٦٧ (الأحقاف)، آية ٢٠ ك.

(١٩٣٣) ساقط من دندش.

(١٩٣٤) سورة ٢٠ (طه)، آية ١٣١ م.

(١٩٣٥) دندش: "هما أسودان".

(١٩٣٦) ابن منصور: "عنها قالت خبزنا من"؛ دندش: "عنها، قالت رغيفا من".

شعير، فجئت(١٩٣٧) منه بكسرة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "ما هذا يا فاطمة"؟ فقلت(١٩٣٨): رغيف خبزته يا رسول الله، ولم تطب نفسي أن آكله حتى أجيئك بهذه الكسرة. فقال: "أمَا أنَّهُ أوَّلُ طَعَامٍ دَخَلَ جَوْفَ أبيكِ مُنْذُ ثَلاَثَةِ أيَّامٍ"(١٩٣٩)! هذا لو شركوك(١٩٤٠) في خفض العيش لنهيت عنه، لأن الله -تعالى- أخذ على الأئمة مثل ما [ك: ١٢٧] روي عن يوسف -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يأكل الشعير، ويطعم عياله الخشكار، ويطعم المسلمين الحواري(١٩٤١)، وكان يجوع نفسه، فقيل له: أتجوع(١٩٤٢) وبيدك خزائن الأرض؟ فقال: أخاف أن أشبع فأنسى الجائعين! وروي أن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لما أفضت إليه الخلافة، قال: إني أنزلت نفسي في مال الله -سبحانه- بمنزلة ولي اليتيم، إن استغنيت(١٩٤٣) استعففت، وإن افتقرت أكلت بالمعروف، وروي عنه أنه قال: أخبركم بما يحل لي من مال الله سبحانه. أستحل منه حلتي(١٩٤٤): حلة الشتاء وحلة القَيْظ، وما أحج عليه وأعتمر، وقوتي وقوت عيالي، كقوت رجل من قريش، لا من أغنيائهم ولا من فقرائهم، ثم أنا، بعد، رجل من

(١٩٣٧) د ندش: "فجاءت".

(١٩٣٨) د ندش "فقالت".

(١٩٣٩) لم أقف على موضع هذا الحديث في المصادر المتيسرة.

(١٩٤٠) كذا في ك، د، ابن منصور؛ د ندش: "شاركوك".

(١٩٤١) ابن منصور: "الحوران".

(١٩٤٢) ك: "الجوع"؛ وانتقل من د، وابن منصور؛ د ندش: "لم تجوع".

(١٩٤٣) د ندش: "استغديت"

(١٩٤٤) د ندش: "حلتين".

المسلمين يصيبني ما أصابهم"[١٩٤٥].

فكيف والفقراء ببابك يتضرعون؟ [١٩٤٦] وذوا الحاجات يترددون؟[١٩٤٧] وأهل الديون والغرم في السجون محبوسون مأسورون؟ وأحوال المسلمين [د. ٥٣ ب] تحت يدك وفي قبضتك؟ أما سمعت أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "مَنْ تَرَكَ مَالاً، فَلِوَرَثَتِهِ، / وَمَنْ تَرَكَ كَلاً فَعَلَيْنَا"[١٩٤٨]؟ أما سمعت قول الله -تعالى-: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ" الآية إلى قوله: "الْغَارِمِينَ"[١٩٤٩]؟

يا أبا يعقوب، إنه قد كبرت السن وانحلت القوى، واشتعل الرأس شيبا وارتحلت الدنيا مدبرة، وجاءت الآخرة مقبلة، وحان الفراق، والتفت الساق بالساق، وجاءت سكرة الموت بالحق! فالبدار البدار إلى حياة لا موت فيها، وشباب لا هرم معه، وصحة لا سقم فيها. قال الله -تعالى-: "وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" إلى قوله: "مِنْ فَضْلِهِ"[١٩٥٠].

فروي عن[١٩٥١] ابن عباس، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ

[١٩٤٥] كذا في ك، د، ابن منصور، دندش؛ ولعل الصواب: ما يصيبهم.

[١٩٤٦] ك، د: "يتصاعرن"؛ ابن منصور: "يتصاعدون"؛ دندش: "يتضاوعون"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا.

[١٩٤٧] دندش: "يترددون".

[١٩٤٨] سنن أبي داود، الخراج ب ١٥ سنن ابن ماجة، ٢٧٢٨، بالموسوعة، ٨/١٨٩.

[١٩٤٩] سورة ٩ (التوبة)، آية ٦٠ م.

[١٩٥٠] سورة ٣ (آل عمران)، آية ١٦٩ م.

[١٩٥١] ك، د: "أن"، والتصويب من ابن منصور ودندش.

خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ تَحْتَ العَرْشِ -فَلَمَّا رَأَوْا طِيبَ مَقِيلِهِم[٩٥٢] وَمَطْعَمِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ، وَرَأَوْا مَا أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ الكَرَامَةِ، قَالُوا: يَا لَيْتَ قَوْمَنَا يَعْلَمُونَ بِمَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ! وَمَا صَنَعَ اللَّهُ بِنَا، كَيْ يَرْغَبُوا فِي الجِهَادِ، وَلَا يَنْكُصُوا[٩٥٣] عَنْهُ[٩٥٤]". فقال الله -تعالى- أَنَا مُخْبِرٌ عَنْكُمْ، وَمُبَلِّغٌ إِخْوَانَكُم[٩٥٥]": فَفرحوا بذلك واستبشروا، فأنزل الله -تعالى-: "وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا، بَلْ أَحْيَاءٌ" الآية. وقال جل من قائل: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ المُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ" إلى قوله: "الفَوْزُ العَظِيمُ"[٩٥٦]. فما ظنك بتجارة الله؟ مشتريها ويبوئك[٩٥٧] والله أن لا تبور، وقال جل من قائل: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ؟[٩٥٨]" فلو قطع هنا لانقطعت الأعيان في البحث عن هذه التجارة. لأن الله بفضله وكرمه، بيَّن مرادهم من ذلك، فقال: "تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ" الى قوله:

---

[٩٥٢] كذا في ك، د، ابن منصور، دندش، ولعل الصواب: مقامهم.

[٩٥٣] ك، د، ابن منصور: "ينكلوا"، والتصويب من دندش.

[٩٥٤] لم أقف على مصدر هذا الحديث.

[٩٥٥] كذا في ك، د، ابن منصور، دندش؛ ولم يعلق عليها ابن منصور ودندش، ولا وردت كآية في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن.

[٩٥٦] سورة ٩ (التوبة)، آية ١١١م.

[٩٥٧] كذا في ك، د: "ابن منصور دندش؛ ولعل الصواب: يدرك، ليستقيم المعنى.

[٩٥٨] سورة ٦١ (الصف)، آية ١٠م.

"<إنْ>[٩٥٩] كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ"[٩٦٠].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ القَائِمِ، لا يَفْتُرُ مِنْ صَلاةٍ أَوْ صِيَامٍ حَتَّى يَرْجِعَ"[٩٦١].

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: "تَكَفَّلَ اللهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، لا يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْتِهِ إلاَّ الجِهَادُ فِي سَبِيلِ [ك: ١٣٨] اللهِ"[٩٦٢]. وتصديق / كلمته، أن يدخله الله الجنة أو يرده إلى مسكنه الذي خرج منه، مع ما نال من أجر وغنيمة[٩٦٣]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَحْبَبْتُ أَلاَّ أَتَخَلَّفَ عَنْ سَرِيَّةٍ تَخْرُجُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَلَكِنِّي لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُهُمْ عَلَيْهِ، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا بَعْدِي، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنْ أُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأُقْتَلَ ثُمَّ أَحْيَا، فَأُقْتَلَ ثُمَّ أَحْيَا، فَأُقْتَلَ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يُكلم أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللهِ -وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يكلم فِي سَبِيلِهِ- إلاَّ جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ وَالرِّيحُ رِيحُ المِسْكِ"[٩٦٤].

وقال أنس بن مالك: استشهد عمي يوم أحد وكان قد غاب عن بدر، فقال:

---

[٩٥٩] ساقط من د، ودندش.

[٩٦٠] نفس السورة السابقة، آية ١١.

[٩٦١] الترغيب والترهيب للمنذري، ٢/٢٩٣، بالموسوعة، ٩/٣٨١.

[٩٦٢] سنن الدارمي، ٢/٣٠٠، بالموسوعة، ٤/٤١٠.

[٩٦٣] ك، ابن منصور: "أو غنيمة"؛ والتصويب من د، ودندش.

[٩٦٤] صحيح مسلم، الأمارة، ب ٢٨، رقم ١٠٦ مكرر؛ صحيح البخاري، ٤/٢٢؛ بالموسوعة، ٦/٧٩٨، ١٠/٣٨١، ٣٨٨.

يا رسول الله، إن الله أشهدني قتال المشركين ليرين[٩٦٥] ما أصنع. فلما كان يوم أحد، قال: إني لا أجد ريح الجنة من دون أحد. قال: فما استطعت يا رسول الله ما أصنع؟ فوجدنا بضعا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة بالرمح، أو رمية بسهم[٩٦٦]. ومثل به المشركون. فنزل فيه وفي أمثاله[٩٦٧]: "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ. وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا"[٩٦٨].

واعلم يا أبا يعقوب، أن الله -تعالى- فرض الجهاد على كافة المسلمين، ولا يرده جور جائر، ولا فسق فاسق، إلى أن تقوم الساعة. قال الله -تعالى-: "قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ"، إلى قوله: "صَاغِرُونَ"[٩٦٩]. فلم يرخص لهذه الأمة في ترك جهاد إد: ٥٤ أ] عدوهم إلا بإعطاء الجزية / أو كلمة الإسلام. وهذه الآية نسخت كل آية في كتاب الله -تعالى- تتضمن الإعراض على المشركين.

وروى أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "مَا تَرَكَ قَوْمٌ الْجِهَادَ إِلَّا عَمَّهُمُ الْعَذَابُ"[٩٧٠]. فجهاد الكفار فرض عليك فيما يليك من ثغور بلاد الأندلس لأنك أقرب الملوك إليها، وعندك الكراع والسلاح، ولامة الحرب وآلتها، وجيوش المسلمين وحماة البيضة،

---

[٩٦٥] دندش: "ليرى".

[٩٦٦] ك: "بالسيف"؛ د: "با [...]"؛ ابن منصور: "بالنبل"؛ والتصويب من دندش.

[٩٦٧] دندش: "وفي أفعاله".

[٩٦٨] سورة ٣٣ (الأحزاب)، آية ٢٣ م.

[٩٦٩] سورة ٩ (التوبة)، آية ٢٩ م.

[٩٧٠] جمع الزوائد للهيثمي، ٣٨٤/٥؛ الترغيب والترهيب للمنذري، ٣٨٤/٥، بالموسوعة، ٩٦/٩.

طائعون لك، وكذلك كل من بنواحيك وجنبات أعمالك من المجاهدين والمقاتلين وأولي البطش والقوة. وأنت في حرج من تضييع من في ثغور الأندلس من جماعة المسلمين، والحرم والذراري أفلا تأسيت بمن سافر إليها وأقصى[٩٧١] المخضي من أرض الحجاز، من حماة المسلمين ومجاهديهم، حتى استفتحوها، وبثوا فيها كلمة الإسلام وشهادة التوحيد؟ فكيف بمن يناسخها ويجاورها؟

يا أبا يعقوب إذا أردت الظفر بالعدو، فعليك بالعدل في الرعية. فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه- أن وفدا من الوفود قدم عليه بالفتوح. فقال له عمر: متى لقيتم عدوكم؟ فقال: من أول النهار. قال: فمتى انهزموا؟ فقال: في[٩٧٢] آخر النهار. فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون[٩٧٣]. وقام الشرك للإيمان[٩٧٤] من أول النهار حتى اعتدل النهار؟ والله إن كان هذا <إلا>[٩٧٥] عن ذنب أحدثتموه بعدي أو أحدثته بعدكم! ولقد استعملت يعلى ابن أمية على اليمن أستنصر لكم بصلاحه.

وكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه- إلى جنده بالشام [ك: ١٢٩] وإنما يوتي العشرة الآلاف / وأكثر إذ أتوا من تلقاء الذنوب. فاحترسوا من الذنوب.

ومما أتحفك به، وهو خير لك من طلاع[٩٧٦] ذهبا لو أنفقته في سبيل الله، حديث <رواه الأئمة الثقاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. < فروى مسلم في كتابه "الصحيح"، نقل العدل عن العدل، عن رسول الله صلى الله عليه

---

(٩٧١) ابن منصور: "وأمضى".

(٩٧٢) ك، د، ابن منصور: "من"؛ والتصويب من دندش، ليستقيم المعنى.

(٩٧٣) سورة ٢ (البقرة)، آية ١٥٦م.

(٩٧٤) دندش: "وقاوم الشرك الإيمان".

(٩٧٥) ساقط من دندش.

(٩٧٦) دندش: "قلاع".

وسلم- >[977]، أنه قال: >[978] "لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ المَغْرِبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ"[979]. والله أعلم هل أرادكم رسول الله صلى الله عليه وسلم- معشر المرابطين، أو أراد بذلك جملة من أهل المغرب، وما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة، وطهارتهم من البدع والإحداث في الدين، < والإقتداء لآثار السلف[980] الصالح رضي الله عنهم>[981].

وإنا لنرجو أن تكون أولى[982] بقية ينهون عن الفساد في الأرض. ولقد كنا في الأرض المقدسة جبر الله مصابها- تترى علينا أخبارك، وما قمت به[983] من أداء فريضة الله -تعالى- في جهاد عدوه وإعزاز دينه وكلمته. وكان من هناك من العلماء والفقهاء وحماة[984] الدين والعباد والزهاد والمنقطعين إلى الله -تعالى- يدعون الله -سبحانه وتعالى- في نصرك وتأييدك، والفتح على يدك. فلئن[985] كنت تستنصر بجنود أهل الأرض، [فـ]ـلقد كنا نستنصر لك بجنود أهل السماء.

---

[977] من "فروى مسلم" إلى "وسلم"، ساقط من دندش.

[978] من "رواه الأئمة" إلى "قال"، ساقط من أعراب.

[979] صحيح مسلم بشرح النووي، ٦٨/١٣؛ فتح الباري لابن حجر، ٢٨٦/١٣-٢٩٢ بالموسوعة، ١٠٩/٧؛ المعجب للمراكشي، ١٨٨. وقد سبق ذكره أعلاه في "كتاب الأنساب" برواية أخرى.

[980] ك، د: "لآثار من السلف"؛ دندش: "بآثر من السلف"؛ والتصويب من ابن منصور.

[981] ساقط من أعراب.

[982] ك د: "أولوا"؛ ابن منصور: "أولي"، والتصويب من دندش.

[983] ك، د: "فيه"، والتصويب من ابن منصور ودندش.

[984] ك، د: "جملة"؛ دندش: "وحملة"؛ والتصويب من ابن منصور.

[985] دندش: "فإن"؛ أعراب: "ولكن".

حتى قدم علينا الأرض المقدسة <الفقيه>[١٩٨٦]، أبو محمد، عبد الله ابن العربي، وابنه الفقيه، الحافظ، أبو بكر، محمد بن عبد الله. فذكرا من سيرتك في جهاد العدو <-أهلكه الله تعالى- في تلك الأندية والمحافل والحلق[١٩٨٧] والمجالس،>[١٩٨٨] وصبرك على مكافحة العدو ومصابرته، وإعزازك للدين وأهله، والعلم وحملته، ما زاد المسلمين بصيرة في الدعاء لك وحسن الإعتقاد فيك، حتى تمنينا أن نجاهد الكفار معك، ونكثر سواد المسلمين في جهتك[١٩٨٩]. نسأل الله -تعالى- الذي يهب الجزيل من فضله، أن يهبنا وإياك الشهادة في [د: ٥٤ ب] سبيله، ثم إليه -سبحانه- نضرع أن يريك الحق حقا / فتتبعه والباطل باطلا فتتجنبه، فصلاح الرعية بصلاح الراعي؛

والفقيه، أبو بكر محمد بن عبد الله ابن العربي ممن صحبنا أعواما، يدارس العلم ويمارسه- بلوناه وخبرناه. وهو ممن جمع العلم ووعاه، ثم تحقق به ورعاه، وناظر فيه وجد، حتى فاق أقرانه ونظراءه. ثم رحل إلى العراق، فناظر العلماء وصاحب الفقهاء، وجمع من مذاهب العلم عيونها، وكتب من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وروى صحيحه وثابته. والله -تعالى- "يؤتي الحكمة من يشاء"[١٩٩٠]. هو وارد عليك بما يسرك؛ فاشدد عليه يديك[١٩٩١]، واحفظ فيه وفي أمثاله وصية الله -سبحانه- لنبيه عليه السلام قال الله -سبحانه- وهو أجل القائلين: "وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ؛

[١٩٨٦] ساقط من أعراب.

[١٩٨٧] ابن منصور: "والحلق"؛ دندش: "والحلل".

[١٩٨٨] سقط من أعراب.

[١٩٨٩] ابن منصور: "بأجبلتك"؛ دندش: "في جنتك".

[١٩٩٠] من سورة ٢ (البقرة)، آية ٢٦٩م.

[١٩٩١] دندش: "يدك".

كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ"[٩٩٢].

والحمد لله رب العالمين، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وصلى الله على سدنا ومولانا محمد خاتم النبيتين وآله الطيبين الطاهرين، وسلم وشرف وكرم، وأفضل وأنعم[٩٩٣]

[ك: ١٤٠] هكذا كانت سيرة العلماء مع الأمراء. ومنذ عدم الناس أمثال هؤلاء العلماء أصابهم ما أصابهم! وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: "صِنْفَانِ مِنْ أُمَّتِي إِذَا صَلَحُوا، صَلَحَ[٩٩٤] النَّاسُ، وَإِذَا فَسَدُوا، فَسَدَ النَّاسُ: الأُمَرَاءُ وَالعُلَمَاءُ"[٩٩٥].

قال: "الشيخ أبو حامد الغزالي رضي الله عنه في آخر كتاب: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر "من كتاب[ـه]" إحياء علوم الدين": كانت سيرة العلماء مع الأمراء، قلة المبالاة، وإخلاص النصيحة لهم، لأنهم اتكلوا على فضل الله أن يحرسهم، ورضوا بحكم الله أن يرزقهم الشهادة. فلما أخلصوا الله النية، أثر كلامهم في القلوب القاسية، فلينها[٩٩٦] وأزال قساوتها. وأما الآن فقد قيدت الأطماع ألسنة العلماء، فسكتوا! وإن تكلموا لم يساعدوا[٩٩٧] أقوالهم أفعالهم،

---

[٩٩٢] سورة ٦ (الأنعام)، آية ٥٤ ك.

[٩٩٣] انتهى هنا ما نشره ابن منصور ودندش.

[٩٩٤] د: "أصلح".

[٩٩٥] إتحاف السادة المتقين للزبيدي، ٧٨/٦؛ مشكاة المصابيح، ٥ ١٠٥، بالموسوعة، ٥/ ٢٥٦.

[٩٩٦] ك: "فليتها"، والتصويب من د.

[٩٩٧] كذا في ك، د: ولعل الصواب: لم تصادق أو لم توافق.

فلم ينجوا. فلو صدقوا الله، وصدقوا حق(١٩٩٨) العلم، لأفلحوا. ففساد الرعية بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء. وفساد العلماء باستيلاء حب الجاه والمال. ومن استولى عليه حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الأراذل، فكيف على الملوك والأراذل؟

انتهى كلام الشيخ أبي حامد رضي الله عنه.

[خبر ابن هود مع الرجل الصالح]

قال أبو مروان الوراق في تاريخه: لما ضيق العدو على المقتدر بن هود، ورتب(١٩٩٩) على المسلمين وظيفة يعطيها للنصارى، وقسطها على سائر بلاده، وكلفهم غرمها. وكان في بلد من بلاده رجل صالح(٢٠٠٠) من النساك والزهاد. فجاءه أهل بلده وأخبروه بأن السلطان قد كلفهم أداء الجزية. فقال لهم الرجل الصالح: أما وأنا في الدنيا فلا سبيل إلى ذلك، لأنه لا على مسلم جزية! وركب أتانه ومعه أهل قريته، وأتى إلى سرقسطة، قاعدة المقتدر بن هود، فتصدى لدخول عليه واحتال حتى وصل إلى مجلسه، ووقف بين يديه ووعظه، وأعلمه أنه لا جزية على مسلم، وأن الذي فعله لا يجوز في الشريعة. فاغتاظ المقتدر من قوله وأنبه(٢٠٠١)! ولم تكن الحال تقتضي إسقاطها. فأمر بالرجل أن يقتل فقتل! وأخرجت جيفته، فأخذها أصحابه الذين جاؤوا معه، وانصرفوا بها إلى بلدهم. ولما قتل هذا الرجل الفاضل دان الناس على الرعية بغرم الجزية. ولم يزل المقتدر بن

(١٩٩٨) الحق بهامش ك.

(١٩٩٩) ك، د: "وطلب"، والصواب ما أثبتنا.

(٢٠٠٠) ك، د: "رجلا صالحا"، والصواب ما أثبتنا.

(٢٠٠١) ك، د: "وأسفه"، ولعل الصواب ما أثبتنا.

هود يضعف [د: ٥٥ أ] أمره. / ويستأسر العدو عليه، إلى أن رماه الله بعلة في جسده أوهنت قواه وأضعفت[٢٠٠٢] عقله. فيقال أنه كان في أواخر هذه العلة ينبح كما ينبح الكلاب. ويقول: ما للرجل الصالح ولي؟ وقبضت روحه وهو على هذه الحال.

[جواب الشيخ أبي محمد بن أبي زيد إلى أهل المغرب]

وكتب قوم من أهل المغرب الأقصى إلى الشيخ أبي محمد بن أبي زيد رضي الله عنه، يعلمونه بما يقع في بلادهم من سفك الدماء، وتعصب القبائل بعضهم على بعض. فجاوبهم بهذه الرسالة:

!

بسم الله الرحمن الرحيم. [و]صلى الله على محمد وآله وسلم تسليما.

وفقك الله وأرشدك[٢٠٠٣] وحماك من مساخطه وسددك.

إك: ١٤١] كتبت إلي أن طوائفا بناحيتكم من أقصى المغرب / يهون عليهم سفك الدماء والفساد في الأرض، في حمية تأخذهم، وعدة أنفسهم تملكهم لا يرجون لله وقارا، ولا يخشون منه عتابا. ورغبت إلي أن أكتب لك مما في كتاب الله -سبحانه- وقول الرسول -عليه السلام- من تعظيم أمر الدماء المسفوكة بغير[٢٠٠٤] حق، والفساد في الأرض، ومما في ذلك من الوعيد الشديد، وما يؤدي إليه من التقاطع والتدابر، وفساد ذات البين، وقطيعة الأرحام، واستباحة الحرام. وما يخشى في ذلك من عاجل الإنتقام في عاجل الدنيا، وما ينال فاعل ذلك من عذاب الآخرة:

[٢٠٠٢] ك، د: "وضعفت"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

[٢٠٠٣] د: "ورشدك".

[٢٠٠٤] د: "من غير".

قال أبو محمد: ورجوت أن ينتفع بذلك كثير منهم. وكتبت إليك بما حضرني في ذلك. وأسأل الله أن ينفعك بنيتك، وأن يُيَسِّرنا وإياك لكل ما يرجى نفعه عنده برحمته. ومن سمع هذا الكتاب ممن وعظ به- فهو تنبيه له. وممن يرحمه الله عليه، والهداية بيده، والتوفيق للخير هو المأمن به.

قال أبو محمد: وربما نفع التذكار، وكان سبب الإنابة. والله يهدي إلى سواء السبيل.

قال أبو محمد: وكلما أذكر لك من قول سلف في شيء من كتاب الله سبحانه وأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم- فإني أقتصر على متون الأحاديث دون إسنادها. رغبة في الإختصار. ولأن ما أذكر من ذلك فكله مروي عندي، ومشهور في أمر الدين. وبالله[2005] على كل خير أستعين، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

وقال أبو محمد: إعلم أن الله -تعالى- عظم أمر سفك دماء المسلمين في كتابه على كل كبيرة، بعد الشرك بالله -سبحانه- وكرر الزجر عنه والتعظيم[2006] له. وذكر فيه من الوعيد والتخليد ما أذكره لك. وكان القتل أول أمر عظيم وقع في الأرض، من قتل قابيل هابيل[2007]، وهما ابنا[2008] آدم. وليس في الأرض يومئذ غيرهما وأختين لهما، وأبوويهم آدم -عليه السلام- وحواء. وذلك أن حواء أول ما[2009] ولدته: قابيل وأخته في بطن. فأمر الله سبحانه آدم أن يزوج أخت

[2005] د: "فالله".

[2006] د: "للتعظيم".

[2007] د: "قابل هابل".

[2008] ك، د: "أبناء"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

[2009] كذا في ك د، ولعل الصواب: "من"

قابيل لهابيل، وأخت هابيل لقابيل. فرضي هابيل لقابيل، ولم <يرض>[٢٠١٠] قابيل. لأن أخت قابيل كانت أحسن من أخت هابيل. فأمرهما الله أن يقربا قربانا. فمن أكلت النار قربانه كان أحق بها. فرضيا، فأكلت النار قربان[٢٠١١] هابيل! فتمادى قابيل على أمره أنفة منه، وحمية وحسدا لأخته[٢٠١٢]. فرد أمر الله، فجدله الله حتى ودته تلك الحمية والحسد إلى أن قال لأخيه: لأقتلنك[٢٠١٣]. فقال أخوه: "إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي، مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ. إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ. إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ. وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ"[٢٠١٤].

قال الله سبحانه: "فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ، فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ"[٢٠١٥].

قال الحسن: خسر الجنة، ولما بعث الله إليه غرابا قتل غرابا ثم واراه! فوارى[٢٠١٦] هو أخاه كذلك، فأصبح من النادمين.

[د: ٥٥ ب]/ وقال السدي، ثلاثة لا يقبل منهم الله توبة: إبليس، وابن آدم الذي قتل أخاه، ومن قتل نبيا.

-[ك:]١٤٢ وقال الحسن: إن النبي / صلى الله عليه وسلم -قال: : إن الله

[٢٠١٠] ألحق اللفظ بهامش ك، ساقط من د.

[٢٠١١] د: "قربانا".

[٢٠١٢] ألحق اللفظ بهامش ك.

[٢٠١٣] من سورة ٥ (المائدة)، آية ٢٨ م.

[٢٠١٤] نفس السورة، آية ٢٨ م.

[٢٠١٥] نفس السورة، آية ٣٠ م.

[٢٠١٦] ك: "فورى"، والتصويب من د.

سبحانه: "ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا ابْنَيْ آدَمَ مَثَلًا فَخُذُوا خَيْرَهُمَا، وَدَعُوا شَرَّهُمَا"[٢٠١٧] يقول: خذوا فعل خيرهما[٢٠١٨]. ثم قال الله سبحانه: "مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا"[٢٠١٩].

قال السدي: يعني من قتل إنسانا بغر نفس أو فساد في الأرض ما يستوجب به القتل، "فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، وَمَنْ أَحْيَاهَا" يقول: أبقاها، "فكأنما أحيا الناس جميعا". وقيل في قوله "أحياها"، يقول: نفس وجب لك قتلها، فعفوت عنها.

قال أبو محمد: وهذا غاية التعظيم للقتل، ليرهب الناس ذلك. قال أبو محمد: وقال أبو سفيان الثوري: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تُقْتَلُ نَفْسٌ مُسْلِمٍ"، يعني: بغير حق، "إِلَّا عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ[٢٠٢٠] كِفْلٌ مِنْ دَمِهِ"[٢٠٢١]. وفي حديث آخر: "لأنه سَنَّ القَتْلَ وَعَلِمَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا عَظَّمَ اللَّهُ مِنْ أَمْرِ الْقَتْلِ قَبْلَ خَلْقِ آدم" علمت ذلك من الله سبحانه. فلما قال سبحانه للملائكة: "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، قَالُوا: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ" إلى قوله: "إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"[٢٠٢٢]. قال الحسن: إن الله قد أخبر الملائكة: "إني

[٢٠١٧] كنز العمال، ٢٨، ٣، ٤٢، تفسير الطبري، ١٢٩/٦، بالموسوعة، ١٦٢/٢.

[٢٠١٨] د: "خيركما".

[٢٠١٩] سورة ٥ (المائدة)، آية ٣٢ م.

[٢٠٢٠] د: "أول".

[٢٠٢١] صحيح البخاري، ١٠٠/٢، ١٦٢/٤، بالموسوعة، ١٧٦/٧.

[٢٠٢٢] سورة ٢ (البقرة)، آية ٣٠ م.

جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً" وإن من ولده من يسفك الدماء. فلذلك قالوا، فأجابهم الله: "إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ".

قال قتادة: علم أنه يكون من ذلك الخليفة أنبياء ورسل قوم صالحين يسكنون الجنة.

قال الكلبي: علم أنه سيكون من بني آدم من يسبح بحمده، ويقدس له ويطيع أمره[٢٣-٢].

قال قتادة: وإنما قالت الملائكة ما قالت، لأنها علمت من الله -سبحانه- أن سفك الدماء عنده عظيم. وقول قتادة بين، لأن الله -سبحانه- لم يرد عليها[٢٤-٢] ما استعظمت من سفك الدماء، وإنما قال: "إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ". وهو كما قال سبحانه: مما سبق في علمه أن يجعل. "فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ، وَفَرِيقٌ"[٢٥-٢] فِي السَّعِيرِ"[٢٦-٢].

قال أبو محمد: ومن تعظيم الله -سبحانه- لأمر الدماء أن الله -سبحانه- جعل في قتل المؤمن خطأ الكفارة على من لم يرثه. والدية على من لم يجن وهي العاقلة، لئلا تبطل الدماء. فقال: "وَمَنْ قَتَلَ[٢٧-٢] مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ"[٢٨-٢]. ومن تعظيم أمر القتل أيضا أن الله -سبحانه- قال: "وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ، وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً

[٢٣-٢] د: "ويطيع له ويطيع أمره.

[٢٤-٢] ك، د: "عليهما"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

[٢٥-٢] ك، د: "فريقا في الجنة وفريقا" والصواب ما أثبتنا.

[٢٦-٢] سورة ٤٢ (الشورى)، آية ٧ ك.

[٢٧-٢] ك: "نقتل"، والتصويب من د.

[٢٨-٢] سورة ٤ (النساء)، آية ٩٢ م.

عَظِيماً"[٢٠٢٩].

قال أبو محمد: واختلف في تفسير هذا التخليد، واختلف أيضا في توبة[٢٠٣٠] قاتل العمد. فقال ابن عمر وابن منصور وابن عباس: لا توبة له. وقال علي بن أبي طالب: له التوبة.

قال أبو محمد: وروي عن ابن عباس أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "يَأْتِي المَقْتُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُعَلِّقاً رَأْسَهُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ، مُلَبِّباً[٢٠٣١] قَاتِلَهُ بِيَدِهِ الأُخْرَى، فَيَقُولُ المَقْتُولُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ: رَبِّي هَذَا قَتَلَنِي! فَيَقُولُ اللَّهُ -تبارك وتعالى- لِلْقَاتِلِ: تَعِسْتَ. وَيُذْهَبُ [ك: ١٤٣] بِهِ إِلَى النَّارِ". وفي حديث آخر[٢٠٣٢]: "يَجِيءُ المَقْتُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ مُعَلِّقاً رَأْسَهُ بِإِحْدَى يَدَيْهِ، يَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ دَماً، فَلاَ يَنْتَهِيَنَّ دُونَ العَرْشِ، يَقُولُ: رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟"[٢٠٣٣].

قال أبو محمد: قال الله -تعالى-: وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ"[٢٠٣٤].

قال قتادة وغيره: جعل الله القصاص ليذكر ذلك الظالم المتعدي، فكيف عن القتل! ففي ذلك الحياة. وكان القتل والعثانة في الأرض، والفساد فيها، من

[٢٠٢٩] نفس السورة، آية ٩٣ م.

[٢٠٣٠] ك: "توبه"؛ ستكرر بعد قليل.

[٢٠٣١] كذا في ك واللفظ غير واضح في د.

[٢٠٣٢] ك: "أخرى"؛ والصواب من د.

[٢٠٣٣] المعجم الكبير للطبراني، ٣٧٢/١٠؛ سنن الترمذي، ٣٠٢٩؛ سنن النسائي، ٨٧/٧، بالموسوعة، ٤/١١.

[٢٠٣٤] سورة ٢ (البقرة)، آية ١٧٩ م.

أعظم ما نهى الله عنه، وقد [د: ٥٦ أ] / الله -سبحانه- في قوم شعيب مع ما ذكر من كفرهم فقال: "وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ"(٢٠٢٥). وقال سبحانه- في المسلمين المحاربين المفسدين في الأرض بالقتل وغيره: "إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً"(٢٠٢٦)، الآية.

قال أبو محمد: وروي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- [أنه] سئل: أي ذنب عند الله أكبر؟ قال: "أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ". قلت: أي ذنب يقرب من ذلك؟ قال: "أَنْ تَقْتُلَ وَلَدَكَ خَشْيَةَ أَنْ يَطْعَمَ مَعَكَ"(٢٠٢٧).

فجعل القتل في التعظيم بعد الشرك بالله.

قال: ثم نزلت هذه الآية تصديقا لقول النبي -صلى الله عليه وسلم- "وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ، وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ"(٢٠٢٨)، الآية. وروي ذلك عن غير واحد من الصحابة: أن القتل من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله -سبحانه-. فهو من أكبر الكبائر(٢٠٢٩).

قال أبو محمد: قال إبراهيم النخعي: كانوا يرجون أن [ما] يلقى الله مسلم نقي الكف من الدماء، إلا غفر الله له ما سوى ذلك. وروي عن الحسن أنه قال: من لقي الله ولم يلتبس بدم مسلم، فقد لقيه خفيف الظهر. فجعلهم بما فعلوا من القتل والفساد في الأرض محاربين لله ورسوله.

(٢٠٢٥) نفس السورة، آية ٦٠ م.

(٢٠٢٦) سورة ٥ (المائدة)، آية ٣٣ م.

(٢٠٢٧) صحيح البخاري، ٢٢/٦؛ النسائي، ٨٩/٧-٩٢؛ مسند أحمد، ٢٨٠/١، بالموسوعة، ٤٣٦/٢، ٤٤١.

(٢٠٢٨) سورة ٢٥ (الفرقان)، آية ٦٨ م.

(٢٠٢٩) كذا في ك، ويستقيم المعنى بحذف عبارة: "فهو من أكبر الكبائر".

قال أبو محمد: قال في كتاب أبي المواز: إن المحارب ليس هو بمنزلة السارق. والسارق لا يجب عليه القطع إلا فيما بلغ ربع دينار. والمحارب إنما يجب عليه القطع لقطعه الطريق. وفساده في الأرض، أخذ قليل أو كثيرا، أو لم يأخذ شيئا أصلا. إلا أنه قد خرج ليقطع الطريق مع من يقطع معه. أو وجد بسلاح أو بعصى أو بسوط[٢٠٤٠] أو بغيره. فيعرض بقطع الطريق ونفر بالناس. فأخذ على ذلك قبل أن يصل إليه بشيء. فإنه لص يقام عليه ما يقام على من حارب الله ورسوله. وقد يكون من لم يأخذ مالا ولا يقتل في المحاربة أعظم محاربة وفسادا ممن أخذ وقتل. فالإمام يجتهد في ذلك، ويرى فيه رأيه مع رأي أهل الفضل والفقه. كان المحاربون رجالا أو نساء، أو مسلمين أو ذميين أو عبيدا أو أحرارا. هم محاربون، كلهم شرعا سواء.

قال أبو محمد: وكفى بهذا حراما. وإنما يقول الله: "أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِنْ خِلافٍ. أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ، ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ"[٢٠٤١]. قال أبو محمد: فجاهد المحاربين جهاد.

قال أشهب: هو من أفضل الجهاد. قال أشهب: وسئل مالك[٢٠٤٢] عن الأعراب الذين يقطعون الطريق. قال جهادهم أحب إلي من جهاد الروم.

قال أبو محمد: قال يحيى بن عمر: فجهادهم- إذا قوي أمرهم- [ك: ٤٤] أفضل من جهاد الروم، لأن الله -سبحانه- / قال فيهم[٢٠٤٣] ما سمعت من محاربتهم ذلك له ولرسوله. وإن جزاءهم ما ذكر من التنكيل في الدنيا والعذاب

[٢٠٤٠] ك، د: "بصوت". والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

[٢٠٤١] سورة ٥ (المائدة) آية ٣٣ م.

[٢٠٤٢] د. "ملك".

[٢٠٤٣] لفظ غير واضح في ك؛ والنقل من د.

العظيم في الآخرة. وقال في الكفار: "فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ، فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً"(٢٠٤٤). فذكر استرقاقهم أو المن عليهم بالعتق(٢٠٤٥) بعد القدرة عليهم واسترقاقهم، وأمر في المحاربين، إذا قدر عليهم قبل أن يتوبوا، بما أمر من التنكيل وشدة العقاب، مع الوعيد في الآخرة بالعذاب العظيم.

قال أبو محمد: قال يحيى بن عمر: وآثار المحاربين في الأرض أمر عظيم وفساد كبير، لأن في ذلك شق العصى [على] المسلمين وفساد ذات بينهم، وتعطيل أحكامهم، وفساد طرقهم، والضرر في معاشهم وأموالهم، وإقامة لواء الشيطان وطاعته، وإحياء أمر الجاهلية الذي فيه تلف(٢٠٤٦) الأرض وفسادها. وإنما بعث الرسول -عليه السلام- لإماتة(٢٠٤٧) أمر الجاهلية وإحياء أمر الإسلام وشرائعه، وما رضي به مما شرع من دينه، وبسط في الأرض من عدله وحقه(٢٠٤٨).

[د: ٥٦ ب] قال / رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ"(٢٠٤٩). قال في حجة الوداع، في خطبته: "أَلاَ إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ

(٢٠٤٤) سورة ٤٧ (محمد)، آية ٤ م.

(٢٠٤٥) ك، د: "بأن لعتق".

(٢٠٤٦) ك، د: "تلك"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

(٢٠٤٧) ك: "فاماتة"؛ د: "بإماتته"؛ والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

(٢٠٤٨) ك، د: "وحقه"، والصواب ما أثبتنا.

(٢٠٤٩) صحيح البخاري، ١٠٩/٩/٢؛ صحيح مسلم، ٧٧/٧، والموسوعة ٣٢٨/٢، وسيرد نفس الحديث أدناه.

هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا؟. اللهم قد بلغت"[٢٠٥٠]. قالوا: نعم. وقال عليه السلام: "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إيمانه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسا بغير نفس، أو فساد في الأرض"[٢٠٥١]. ثم جمعها في المحاربة. وقال عليه السلام: ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض"[٢٠٥٢]. يقول عليه السلام: "لا تعملوا عمل الكفار والجاهلية الذين يسفكون الدماء بغير حق، إلا للحمية والغضب والأنفة[٢٠٥٣] والعصبية والباطل، فليس هذا من أمر الإسلام"[٢٠٥٤].

قال محمد: وقد استنقذ الله الخلق بسببه -عليه السلام- فأنقذهم من فساد أمر الجاهلية في دينهم وأعمالهم: قال الله: "وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها"[٢٠٥٥]. وقال عليه السلام: "من حمل علينا السلاح فليس منا"[٢٠٥٦].

قال أبو محمد: فهذه أوامر الله ورسوله، ومواعظه وآدابه، وإيعاد الله الشديد في جميع من ذكرنا من أمر القتل والفساد. قال أبو محمد: فمن قرع هذا مسامعه من أهل الإسلام، فلم ينبه لأمر الله ووعيده -وقد أبلغ الله إليه في المعذرة

[٢٠٥٠] فتح الباري لابن حجر، ٧٩١/٧.

[٢٠٥١] سنن النسائي (المجتبى)، ١٠٠/٧، ١٢/٨، بالموسوعة، ٢٥٠/٧.

[٢٠٥٢] مجمع الزوائد للهيثمي، ٢٩٥/٧، ٢٩٦، بالموسوعة، ١٠١/٧.

[٢٠٥٣] ك، د: "الأنفية"، ولعل الصواب ما أثبتنا.

[٢٠٥٤] لم أقف على مصدر هذا الحديث

[٢٠٥٥] سورة ٣ (آل عمران)، آية ١٠٢.

[٢٠٥٦] صحيح البخاري، ٥/٩، ٦٢ صحيح مسلم، المقدمة، ٢٢، بالموسوعة، ٢٤٨/٨.

بكتابه ورسوله -فقد دخل في سخط الله ووعيده، وليس من الله مفر: إما أن تنجيه[٢٠٥٧] في دنياه. [أ]و ينال العقاب في آخرته. أو يؤخره ليوم يرجع فيه الخلق إلي الله، فتوفى لكل نفس ما كسبت، والله لا يخاف الفوات. وإنما يملي له أن أمهله ليزداد إثما، ومن الله بعدا. قال أبو محمد: واعلموا -رحمكم [ك: ١٤٥] / الله- أن العصمة من هذا كله. التمسك بأمر الله وكتابه، والدخول تحت إمام بار أو فاجر. فإن الإمام الذي قد اشتدت وطأته- وإن كان جائرا -فإنه يقوم من أمر الإسلام، ما جمع نفعهم، في غير شيء من جهادهم عدوهم، وإقامة الحدود بينهم، وكف ظالمهم عن مظلومهم وإصلاح سبلهم، وغير ذلك من مصالح شأنهم. وإثمه علي نفسه، فيما حاد فيه عن الحق في أمر الدنيا. قال أبو محمد: وهذا كله يفقد مع الفرقة وترك الدخول في طاعة من ذكرت لك من إمام بر أو فاجر. قال أبو محمد: وإذا صح المسلمون هذه المصالح مع الفاجر، وفقدوا المصالح كلها مع الفرقة. فأي الأمرين أولى بهم، إلا ما يضيع مصالحهم؟ وهم لا يواخذون بظلمهم[٢٠٥٨]، فظلمه علي نفسه. قال أبو محمد: ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: إِذَا أُمِّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِي فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوهُ"[٢٠٥٩]. يريد في مصالح أمرهم لا في معصية الله، ولا فيما خالف سنة نبيه صلى الله عليه وسلم-[٢٠٦٠]. أن يأمرهم بذلك فيفعلون.

وقال أبو محمد: وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم- انه قال: "ستروں

[٢٠٥٧] ك، د: "تنجله"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

[٢٠٥٨] كذا في ك، د. ولعل الصواب: وإن ضم المسلمون هذه المصالح مع الفاجر، وفقدوا المصالح كلها مع الفرقة! فأي الأمرين أولى بهم، إلا ما يحفظ مصالحهم؟ وهم لا يؤاخذون بظلمه

[٢٠٥٩] مسند أحمد، ٤٠٢/٦، بالموسوعة، ٥٢٠/٩.

[٢٠٦٠] ألحقت التصلية بهامش ك.

بعدي أثرة". وفي حديث آخر[٢٠٦١]: "ستَرَوْنَ بَعْدِي اخْتِلافاً، فَعَلَيْكُم بالطَّاعَةِ وَلَوْ لِحَبَشِيٍّ"[٢٠٦٢]، رده ذلك ثلاثا. وروي عن ابن مسعود عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ وَتَرَوْنَ آثَرَةً". قالوا: فـ[بـ]ـما تأمر[٢٠٦٣]، يا رسول الله، من أدرك ذلك منا؟ قال: "أَدُّوا الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُم واسْأَلُوا[٢٠٦٤] اللهَ الَّذِي لَكُم"[٢٠٦٥].

وقال ابن مسعود: ما تكرهون في الجماعة خير مما تحبون في الفرقة. وقاله عروة[٢٠٦٦] بن الزبير.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن هذا الأمر-يعني أمر الأئمة- لا يصلح إلا بسلطان عدل أو جائر. وسيقول القائل: فما بال الجائر؟ قال: يتبلغ به المؤمن ويستمتع به الفاجر.

[د: ٥٧ أ] وروي أن النبي -عليه السلام- قال: "سَيَكُونُ عَلَيْكُم بَعْدِي أُمَرَاءُ يَعْمَلُونَ فِيكُم بِأَشْيَاءَ تُنْكِرُونَهَا، فَمَنْ أَنْكَرَ نَجَا، وَمَنْ كَرِهَ سَلِمَ"[٢٠٦٧]، ولكن من تابع؟ قال[٢٠٦٨] الحسن: ألا وإن الإنكار ليس

[٢٠٦١] ك: "أخرى"؛ والنقل من د.

[٢٠٦٢] صحيح مسلم بشرح النووي، ٢٢٦،٢٢٥/١٢؛ صحيح البخاري، ١٥٠/٣؛ فتح الباري، ٤٧/٥، بالموسوعة، ٢١٤/٥.

[٢٠٦٣] ك، د: "تأمرنا"؛ والصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

[٢٠٦٤] ك: "وسلوا" والتصويب من د.

[٢٠٦٥] مسند أحمد، ٣٨٤/١، ٣٩٥/٦؛ صحيح البخاري، ٢٤١/٤، بالموسوعة، ٥/ ٢١٦، ٢٦٣.

[٢٠٦٦] د: "غزوة".

[٢٠٦٧] التمهيد لابن عبد البر، ٦٥/٨، بالموسوعة، ٤٠٦/١١.

[٢٠٦٨] محو في د.

بالسيف. وروي عن ابن عباس أن النبي -عليه السلام- قال: "أيُّما رَجُلٍ كَرِهَ مِنْ أميرِ شيئًا فَلْيَصْبِرْ، فإنَّهُ لَيْسَ أحَدٌ يَخْرُجُ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا إلا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[(٢٠١٩)]. قال أبو محمد: يعني أنه تخلق بخلق أهل الجاهلية، إذا أراد أمرا طلبه ولو بالقتل.

وروي أن النبي -عليه السلام- قال: سَيَكُونُ قَوْمٌ -يريد أمراء- "يَسْتَوْفُونَ حُقُوقَهُمْ كُلَّهَا وَلَا يُوفُونَكُمْ حُقُوقَكُمْ، يَقْضُونَ بِالهَوَى، وَيَقْتُلُونَ فِي الغَضَبِ وَيَسْتَأْثِرُونَ وَيَفْعَلُونَ". فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله! أفلا تضرب أعناقهم؟ قال: "لا، وَلَكِنِ اصْبِرُوا حَتَّى تَأْتُونِي"[(٢٠٢٠)].

[ك: ١٤٦] وروي عن ابن عباس أن النبي / -عليه السلام- قال: "مَنْ رَأَى مِنَ الأميرِ مَا يَكْرَهُهُ؛ فَلْيَصْبِرْ. فإنَّهُ لَيْسَ أحَدٌ يُفَارِقُ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ، إلا مَاتَ مِيتَةَ الجَاهِلِيَّةِ"[(٢٠٢١)]. وروي عن النبي -عليه السلام- أنه قال: "مَنْ خَرَجَ مِنْ أُمَّتِي[(٢٠٢٢)] فَضَرَبَ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، لا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، ولا يَفِي بِذِي عَهْدِهَا، فَلَيْسَ مِنِّي"[(٢٠٢٣)].

قال الحسن: قال النبي -صلى الله عليه وسلم- : "إذَا المُسْلِمَانِ التَقَيَا بِسَيْفَيْهِمَا، فَقَتَلَ أحَدُهُمَا الآخَرَ، فالقَاتِلُ والمَقْتُولُ فِي النَّارِ". قيل:

(٢٠١٩) صحيح مسلم، الإمارة، ٥٠٦، بالموسوعة، ٥٢٦/٨.

(٢٠٢٠) لم أقف على مصدر هذا الحديث.

(٢٠٢١) صحيح البخاري، ٥٩/٩، ٧٨؛ المعجم الكبير للطبراني، ١٦١/١٢، موسوعة، ٢٧٢/٨.

(٢٠٢٢) د: "امتى".

(٢٠٢٣) صحيح مسلم، الإمارة، ٥٣؛ سنن النسائي، ١٢٣/٧، بالموسوعة، ٢٥٢/٨.

يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: إنَّهُ قَدْ أَرَادَ قَتْلَهُ"[٢٠٧٤].

قال أبو محمد: يريد عليه السلام- في أهل العصبية والحمية، كلاهما يرى القتال والفساد. فأما من قتل وهو مظلوم فليس من شأنه الخروج بالسيف على الفساد فهو شهيد.

قال الحسن: فلا يحجبن[٢٠٧٥] أحدكم يوم القيامة بملإ كفه من دم مسلم، فإنه لا يشم ريح الجنة. قال أبو محمد. وهذا يكثر ذكره. وفيما ذكرنا كفاية لمن وفقه الله وأراد نجاته. قال أبو محمد: وأكثر هذه الأحاديث إنما هي فيمن[٢٠٧٦] سل سيفه على معنى الفتنة وطلب الملك، فكيف بمن سل سيفه على القصد إلى الظلم والعصبـ[ـيـ]ـة والحمية والفساد في الأرض؟ وروى ابن القاسم عن مالك. أن للوالي أن يدعو أهل العصبية إلى أن ينتهوا. فإن أجابوا، وإلا جوهدوا إن لم يرجعوا إلى مناصفة الحق بينهم. فإن رجعوا، وإلا قوتلوا.

قال أبو محمد: أهل العصبية الذين تكون بينهم العداوة على غير حق، إلا كبرا ونفاسة وتطاولا على من دونهم، أن يقهروهم أو ينتموا عليهم الأمر الخفيف، فيتطاولوا إلى إهلاكهم، ولا يرضوا بما يجب لهم في الحق والعدل. فإن أبوا، قاتلهم حتى يرجعوا إلى الحق. قال أبو محمد: ولقد يخرج عنه[٢٠٧٧] واحد من الصحابة على القتال مع بعض الصحابة، على أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم- لم يكن الذي فعلوه إلا على التأويل، وطلب الحق وإقامته. لم يكن ذلك أحد منهم على خلوع ولا على طلب الفساد، بل على تأويل كل ما كان منهم والإجتهاد، وهم أهل الإجتهاد. والسلف الصالح الذي أمر بتعزيزهم وتوقيرهم، وحسن الظن بهم.

[٢٠٧٤] صحيح البخاري، ١٥/١، ٥/٩؛ صحيح مسلم، الفتن، ١٢٥/٧، بالموسوعة، ٢٦١/١.

[٢٠٧٥] ك: "يجبن"؛ د: "يحتن"، والصواب ما أثبتنا.

[٢٠٧٦] د: "فيما".

[٢٠٧٧] ك، د: "عند"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

وأن لا يحل أهواء المخارج[٢٠٧٨] عليهم.

قال أبو محمد: وإنما ذكرت لك أن بعضهم وداه الإشفاق من السيف والقتل، لما في قلبه من تعظيم أمر الله للدماء، ولم يخرج مع أحد ليستدل بذلك على تعظيم أمر القتل في الإسلام، وفي السلف الصالح. فمنهم محمد بن مسلمة اتخذ سيفا من خشب، وكسر سيفه، وأبى أن يخرج. ومنهم ابن عمر وغيره، لما أشفقوا من أمر الدماء الذي هو عند الله عظيم. قال أبو محمد: ولكن إذا سفكت[٢٠٧٩] الدماء بحقها فذلك مرضاة الله عز وجل.

قال الصدّيق رضي الله عنه- للذين قالوا له من الصحابة [د: ٤٧ ب] في الذين منعوا الزكاة، فقالوا له: دعهم /. فذكروا له قول رسول [ك:١٤٧]الله صلى الله عليه وسلم- : "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ /حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّهَا". قال أبو بكر: فهذا من حقهما[٢٠٨٠] والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة. قال أبو محمد: وكان رأيه في ذلك سديدا. ورجع إليه من خالفه من الصحابة وقاتلوا أهل الردة، ممن منع من الزكاة وغيرهم، حتى عاد أمر الإسلام إلى أحسنه. وتبين فضل أبي بكر، رحمة الله عليه.

قال أبو محمد عبد الله بن أبي زيد: وأما ما جرى من الفتن بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم- فيمن قاتل على الملك، وآخر يقاتله على الملك، فلم يختلف السلف على النبي عن[٢٠٨١] القتال على هذا.

قال أبو محمد: وأما من ملك واشتدت وطأته في الأرض، وظهرت منه أمور

[٢٠٧٨] كذا في ك، د: ولعل الصواب هوى الخارج، ليستقيم السياق.

[٢٠٧٩] ك، د: "اسفكت"، والصواب ما أثبتنا.

[٢٠٨٠] كذا في ك، د: ولعل الصواب: من حقها.

[٢٠٨١] كذا في ك، د: ولعل الصواب: في، ليستقيم السياق.

منكرة، فلا يتم عليه ليغير[٢٠٨٢] ذلك المنكر، لأن ذلك لا يوصل إليه إلا بسفك الدماء الكثير![٢٠٨٣] وهو من الذين تواترت الأحاديث بالصبر على جورهم، ما أقاموا الصلاة. وينتفع بهم في وجوه كثيرة من مصالح المسلمين. كما تقدم ذكرنا إياهم والقيام على من اشتدت وطأته، لا يقوم خير ذلك بشره. وكذلك رأي أكثر السلف وأهل المدينة.

قال أبو محمد: ولقد كتب أهل الآفاق إلى عبد الله بن عمر العمري -وكان ناسكا، وهو رجل صالح- يسألونه أن يقوم في العدل ويغير المنكر، ويحيي سنة عمر. فقالوا له: ونحن نخرج معك وننصرك. وكان قد خرج من المدينة، واعتزل وتزهد[٢٠٨٤]. فأتى إلى المدينة. فأرسل إلى ملك رجلا. أراه ابن الزبير. فقال له: قل للملك: إن عبد الله بن عمر العمري يشاورك فيما كتب إليه أهل الآفاق من الخروج في الحق، وإنهم ينصرونه وذكر أنه يريد الحق، ولا يريد الدنيا. وقال للرسول: فإذا أجابك، فاسأله عن الحجة فيما تقول. فقال له ملك: قل له: إن عمر ابن عبد العزيز كان إمام هدى، وكان يقول في ولايته: لو كان إلي من الأمر شيء لقلدتها هذا الأخفش. يعني الخلافة، ويريد بالرجل، القاسم بن محمد. ولكنه عرف أنه لو فعل ذلك لجادلته[٢٠٨٥] على ذلك، بنو أمية بالسيوف. فلما عرف عمر أنه حق لا يوصل إليه إلا بخوض الباطل، تركه، ولم يوص بها إلى أحد. قال ملك: قل له: فمن لك بحق لا يوصل إليه حتى تخوض إليه باطلا كثيرا! قال أبو محمد: فأخبره الرسول بقول ملك. فرد عباءته على حماره، وخرج إلى موضعه، وأبى أن يخرج.

[٢٠٨٢] ك. "ليتغير"؛ والتصويب من د.

[٢٠٨٣] كذا في ك، د. ولعل الصواب: الكثيرة.

[٢٠٨٤] ك، د: "وتوهد"، ولعل الصواب ما أثبتنا.

[٢٠٨٥] كذا في ك، د؛ ولعل الصواب: لحالدته.

قال أبو محمد: وهذا كله من فعل السيف. وهيه في[٢٠٨٦] الدخول في الدماء بأمر فيه ريبة أو شبهة. ولم يريدوا أن يضعوا أسيافهم إلا في الجهاد، وفي أمر لا شبهة فيه، ولا يجري إلى باطل ولا فساد. تعظيما لما عظم الله من الدماء والفساد في الأرض.

قال أبو محمد: فكيف بمن سل سيفه، ويقتل النفوس على الباطل الذي لا شك فيه، والمنكر الذي لا يختلف فيه أحد من أمة محمد صلى الله عليه وسلم[٢٠٨٧]؟ إنه ظلم وعدوان. لقد خاب وخسر من دخل في ذلك، واستخف بأمر الله العظيم، واستوجب من الله -سبحانه- سخطه والعذاب الأليم الذي أعده الله له، ولا بد له من لقاء الله. ولا يحذره فيما تحمل من الأمر الذي عظمه الله واستحق به العذاب الأليم، وهو أهل له.

[ك ١٤٨] قال أبو محمد: فليلتق الله من دخل في مثل هذا/، وليبادر[٢٠٨٨] [بـ]ـالإنابة والتوبة، ويكف يده، ويندم على ما تقدم من جرمه، فلعله إذا صدق الله في توبته[٢٠٨٩]، قبلها، وتاب إليه عليه. وأرضى عنه من تحامل في دمه بأفضل مما ناله بأنه، فإن الله عنده الفضل العظيم، وهو واسع كريم. فيكون أرجى مما أصر حتى أتته منيته على ما هو به. وإنما وجبت التوبة للتائب[٢٠٩٠] لاختلاف الصحابة في توبة القاتل. وقد تقدم ذكر هذا.

[٢٠٨٦] كذا في ك، د؛ ولعل صوابها: "هيبة من"، ليستقيم السياق والمعنى.

[٢٠٨٧] ألحقت التصلية بهامش ك.

[٢٠٨٨] تكرر اللفظ في ك هكذا: "وليباد وليبادو"؛ د: "وليبادو"، والصواب ما أثبتنا.

[٢٠٨٩] محو في ك؛ والنقل من د.

[٢٠٩٠] د: "للتائب".

[د: ٥٨ أ] قال / أبو محمد: وإنما[٢٠٦١] احتسبتها، أيها الراغب في النصيحة لهؤلاء القوم، رجاء أن ينتفع بذلك من بلغه. وقد بلغت من النصيحة ما أمكنني.

أسأل الله ولك الهداية والتوفيق إلى محابه، وسلوك السبيل الأقوم من طاعته، من مكره وإملائه[٢٠٦٢]، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تم الكتاب.

فصول من رسالة لأمير المسلمين محمد بن يوسف بن هود إلى عماله في معنى ما كتب به الشيخ أبو محمد بن أبي زيد رضي الله عنه

قال صاحب كتاب "المغرب في أخبار المغرب": وفي سنة أربع وثلاثين وستمائة، أنفذ المتوكل كتبه إلى البلاد بالوصايا والكف عن الدماء، وغير ذلك. وأنشأه الفقيه الأجل العارف أبو عبد الله محمد بن الجنان يقول فيه:

وإن كان أمر بشأنه مشغول، وعن حريمه[٢٠٦٣] نفسه مسؤول، ونحن بما استرعانا الله مشغولون، وعن الكبير والصغير عنهم مسؤولون، وعلينا النصيحة في بلاده وعباده، والنظر لهم بمنتهى جد المجتهد واجتهاده، ولا قوة إلا بالله، عليه توكلنا وبه توسلنا.

[٢٠٦١] وردت -بعد هذا اللفظ- جملة ذكرت ومشطوب على تكرارها في ك، وهي: "وجبت التوبة للتائب لاختلاف الصحابة".

[٢٠٦٢] كذا في ك، د.

[٢٠٦٣] ك، د: "وإن كان أمر بشأنه مشغول وعن حريسة"، والتصويب من المقري، نفح الطيب، ٤٠٦/٧.

ألا وإن كل من وليناه[٢٠٩٤] أمرا من أمور[٢٠٩٥] المسلمين فهو مطلوب به. وموقوف عليه عند ربه. فلينظر امرؤ في جزئية ما نيط[٢٠٩٦] به وكليته وليراقب فيما لديه. عالم سره وجليته ألا وكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته[٢٠٩٧]. فمن حفظ عباد الله حفظه الله في نفسه وماله، وقضى له بالسعادة في حاله وماله، ونجاه يوم عرضه وسؤاله. والخلق عيال الله، فأحبهم إليه أحسنهم لعياله. العدل، العدل، فيه قامت السماوات والأرض، وبه قامت السنة والفرض"، اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى[٢٠٩٨]، وأول ما[٢٠٩٩] تشد به أركان الدين التقوى[٢١٠٠].

فصل منه: فأول ما نوصيكم به وأنفسنا، تقوى الله العظيم، وخشيته في كل حال، ومراقبة أوامره ونواهيه عند كل انتحاء وانتحال. والوقوف عند حدود الله التي حدها، وأرصدها بإزاء موجباتها وأعدها. فإنه لا يتعداها إلا من رام تعفية رسمها وطمسها[٢١٠١]. وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ

[٢٠٩٤] ك: "ولا يناه"، والتصويب من د.

[٢٠٩٥] ك: "الأمور". وصححت بهامشه.

[٢٠٩٦] ك، د: "حزمي ما نيط"، والتصويب من المقري. نفس المصدر والصفحة.

[٢٠٩٧] كلام مشتق من الحديث المشهور، المشار إليه أعلاه في الحاشية .

[٢٠٩٨] سورة ٥ (المائدة)، آية ٨ م.

[٢٠٩٩] ك، د: "من"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا.

[٢١٠٠] ك: "وتقوى"؛ والتصويب من د.

[٢١٠١] ك: "وطمسة"؛ د: "وطمسه"، ولعل الصواب ما أثبتنا، ليستقيم السياق

نَفْسَه"[٢١٠٢]. والله، الله في الدماء! فإنها[٢١٠٣] أول ما يُقْضَى فيه يوم القيامة، ولا سبيل إلى استحلالها إلا بإحدى ثلاث: كفر بعد إيمان، أو زنى بعد إحصان، أو قتل المسلم لأخيه. وقد قال ملك[٢١٠٤] الأمر والخلق: "ولا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلاَّ بالحَقِّ"[٢١٠٥]. فتثبتوا فيها، فأمرها جليل، وتحريمها لا يدخله[٢١٠٦] تحليل. وإياكم أن تجعلوا لأحد من ولاة الجهات فيها حكما ولا نظرا، ولا تكلوا[٢١٠٧] إليهم منها مستكثرا ولا مستنزرا[٢١٠٨] فإنه إن استبد بالقضاء فيها كلُّ والٍ، ذهبت هدرا، واستباحها الجاهل أثرا وبطرا. وربما كان فيهم من في طباعه[٢١٠٩] سبعية يقتل [ك: ١٤٩] الناس بها قتلا ذريعا / ويستسهل بذلك من جهله صعبا، ويستحسن بجوره شنيعا[٢١١٠] ويذهل عن قول الله تعالى: "وَمَنْ قَتَلَ نَفْساً بغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ في الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَى النَّاسَ

[٢١٠٢] سورة ٦٥ (الطلاق)، آية ١ م.

[٢١٠٣] ك: "وإنها"؛ والتصويب من د.

[٢١٠٤] المقري نفس المصدر، ٤٩: "مالك".

[٢١٠٥] سورة ١٧ (الإسراء)، آية ٣٣ م.

[٢١٠٦] ك: يدخلها"؛ د: لفظ غير واضح، والصواب ما أثبت.

[٢١٠٧] ك د: "تكلو"، والتصويب من المقري، نفس المصدر والصفحة.

[٢١٠٨] ك د: "مستترا"، والتصويب من المقري، نفس المصدر والصفحة.

[٢١٠٩] ك د: "طبعته"؛ والتصويب من المقري، نفس المصدر والصفحة.

[٢١١٠] ك، د: "من ذلك بجهله صعبا بجوره شيعا". والتصويب من المقري، نفس المصدر والصفحة.

جميعا"-(٢١١٠). فأنى(٢١١١) تحل المسامحة في هذا الشأن أو يحكم [به](٢١١٢) كل إنسان في نفوس أهل الإيمان؟ معاذ الله أن يكون هذا ونحن نعرفه، وينصرف إليه نظرنا(٢١١٤) فلا نزيله ولا نصرفه: فسدوا هذا [د: ٤٨ ب] الباب / سدا، وصدوا عنه من رماه صدا، وكفوا كل من كان من الأيدي للدماء ممتدا. ومن وجب عليه القتل شرعا وتعين، واتضح موجب القصاص فيه وتبين، فليس لكم إلا القاعدة الكبرى(٢١١٥) تتحرى(٢١١٦) الأحكام فيها عليه بمحضر القاضي والشهود، كما يجب أن تحري بعد أن تستجلي نازلته لديكم، ويتثبت(٢١١٧) فيها. فلا تحل للقضية إلا على بصيرة، وحقيقة مستنيرة. فقد يلوح في اليوم ما خفي الأمس، ولن يقدر بعد الإفاقة، على إعادة النفس.

فصل منه: واعلموا أن حرمة الأموال بحرمة الدماء لاحقة، وإن إحدى القضيتين للأخرى مشاركة. [و]من(٢١١٨) أكبر ما ورد في ذلك وأعظمه قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "حُرْمَةُ مَالِ المُسْلِمِ كَحُرْمَةِ دَمِهِ"(٢١١٩). وليكن

(٢١١٠) سورة ٥ (المائدة)، آية ٣٢ م.

(٢١١١) د: "فإنما".

(٢١١٢) زيادة من المصري، نفس المصدر والصفحة.

(٢١١٤) ك، د: "نظرها": والتصويب من المقري، نفس المصدر والصفحة.

(٢١١٥) ك، د: "وليتي إليكم للقاعدة الكبرى"، والتصويب من المقري، نفس المصدر والصفحة.

(٢١١٦) ك، د: "ولتجري". والتصويب من المقري، نفس المصدر والصفحة.

(٢١١٧) ك، د: "نازليه لديكم ويثبت". والتصويب من المقري، نفس المصدر والصفحة.

(٢١١٨) زيادة من المقري، نفس المصدر والصفحة.

(٢١١٩) مجمع الزوائد للهيثمي، ١٧٢/٤؛ حلية الأولياء لأبي نعيم، ٣٣٤/٧، بالموسوعة ٥٢٨/٤.

الناس في الحق سواء. لا محاباة[٣١٢٠] ولا مفاضلة ولا محاورة[٣١٢١] في تغليب قوي على ضعيف. إن هذه أمتكم أمة واحدة، وإن دلائل الشرع بمراد الله سبحانه لشهادة، ولا يؤخذن[٣١٢٢] أحد بجريرة أحد، ولا يحمي ولد على والده، ولا والد على ولد. فكتاب الله أولى بالإتباع وأحرى، لقول[٣١٢٣] الله عز وجل: "وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى"[٣١٢٤]. اللهم إلا من أوى محدثا فإنه مأخوذ بما أجرم، وملعون على [لسان][٣١٢٥] رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[مرسوم التقليد من الخليفة المستنصر إلى ابن هود]

قال صاحب كتاب "المعرب في أخبار المغرب": لما خلع ابن هود طاعة الموحدين، فأنعم[٣١٢٦] للخليفة صاحب بغداد، فكتب له التقديم على بلاد المغرب، وبعثه له مع الخرقة[٣١٢٧] التي مسحت ببردة النبي -صلى الله عليه وسلم-المعروفة لبني العباس. قال: وفي يوم الجمعة الخامس عشر، قرىء التقليد الشريف، الذي خطت فيه يمين ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم- علامته

(٣١٢٠) ك، د: "محافاة"، والتصويب من نفس المصدر والصفحة.

(٣١٢١) ك، د: "محاورة"، والتصويب من نفس المصدر والصفحة.

(٣١٢٢) ك، د: "يوخزن"، والتصويب من نفس المصدر والصفحة.

(٣١٢٣) ك، د: "وأخرى بقول"، والتصويب من نفس المصدر والصفحة.

(٣١٢٤) سورة ٦ (الأنعام)، آية ١٦٤ ك.

(٣١٢٥) زيادة من نفس المصدر والصفحة ليستقيم المعنى والسياق.

(٣١٢٦) كذا في ك، د؛ ولعل الصواب: فخطب.

(٣١٢٧) ك، د: "وبعثها له مع الخلقة"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

المنيرة المشرفة، ونصها: "القاهر فوق عباده". وخرج المتوكل في الخلع الواصلة بالسواد، المعروفة لخلفاء بني العباس، وهذه نسخته:

بسم الله الرحمان الرحيم

الله القادر فوق عباده

الحمد لله الذي "خَلَقَ الإنسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالفَخَّار"[٢١١٨]، ومالك أزمة الأقضية والأقدار، ومُكَوِّر النهار على الليل، وكور الليل على النهار. المتعالي بوحدانيته على الأشباه والأنظار، المتنزه بكبريائه عن تمثيل الأوهام والأفكار، لا تدركه الأبصار -سبحانه- هو الله الواحد القهار. والحمد لله الذي اختار محمدا -صلى الله عليه وسلم- من أطيب قريش عنصرا وأرومة، وأزكاها أصلا وجرثومة، وأكرمها خولة وعمومة. وبعثه[٢١١٩] والكفر قد هدر رفيقه، والشرك قد قامت سوقه. والضلال قد استطارت بروقه، والشيطان قد استظهر حزبه وفريقه. فصدع بالحق وأظهره، ودحض الباطل ودمره، ورفع لواء الإيمان ونشره، وأمات الباطل وأقبره، وأحيى الدين الحنيفية وأنشره. فصلى الله عليه وعلى آله، الذين رفعوا منار أوامره المتبعة، وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعززوه ونصروه، واتبعوا الذي أنزل معه[٢١٢٠]. صلاة دائمة متصلة <غير منفصلة>[٢١٢١] ما وخدت قلوص راكب. وضحك الروض فبكى العجائب. وعلى عمه العباس بن عبد المطلب خير الأعمام. [ك: ١٥٠] وكافل الأيامى / والأيتام، وصاحب زمزم والمقام، والمخصوص بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام،

[٢١١٨] من سورة ٥٥ (الرحمان)، آية ٣ م.

[٢١١٩] ك، د: "وأبتعثه"؛ ولعل الصواب ما أثبتنا.

[٢١٢٠] ألحق اللفظان: "أنزل معه" فوق السطر في ك.

[٢١٢١] ساقط من د.

والمستنزل ببركته أنواء الغمام عند جذب العام، ومن قال في حقه سيد الأنام، محمد خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام: "يَا عَمِّ فِيكُمُ النُّبُوَّةُ وَالخِلَافَةُ. لا يُنَازِعُكُمْ فِيهَا[٤١٢٢] أَحَدٌ إِلاَّ كَبَّهُ لِوَجْهِهِ[٤١٢٣]. وَلاَ زَالَ الأَمْرُ فِي وَلَدِكَ حَتَّى تُسَلِّمُوهُ إِلَى عِيسَى[٤١٢٤] < عليه السلام>[٤١٢٥]. وقال صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللهَ اتَّخَذَنِي خَلِيلاً كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، [د: ٥٩أ] فَمَنْزِلِي وَمَنْزِلُهُ فِي الجَنَّةِ بِجَاهَيْنِ، وَعَمِّي / العَبَّاسِ بَيْنَنَا مُؤْمِنٌ بَيْنَ خَلِيلَيْنِ"[٤١٢٦]. اللهم اغفر للعباس، وولد العباس، ومحبي ولد العباس، مغفرة ظاهرة[٤١٢٧] وباطنة، لا يغادر لهم ذنباً. اللهم احفظه[٤١٢٨] في ولده واخلفه فيهم، واحفظ ذريته من كل سوء، وأعزهم بعونك ونصرك ما بقي منهم باق.

وقال صلى الله عليه وسلم: "يا عَمِّ لاَ يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ للهِ وَرَسُولِهِ"[٤١٢٩].

وجاء في الحديث، أن العباس دخل على النبي صلى الله عليه وسلم- فخفض النبي صلى الله عليه وسلم- صوته، فقيل له: يا رسول الله، رأيناك

[٤١٢٢] ك، د: "فيه"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

[٤١٢٣] كذا في ك، د.

[٤١٢٤] لم أقف على مصدر هذا الحديث.

[٤١٢٥] ألحق ما بين الزاويتين بهامش ك: ساقط من د.

[٤١٢٦] سنن ابن ماجة، ١٤١؛ الطبراني، ٢٢٧/٨، بالموسوعة، ١٢٦/٣.

[٤١٢٧] ك: "ظاهرة"، والتصويب من د.

[٤١٢٨] د: "احفظه".

[٤١٢٩] سنن الترمذي، ٣٧٥٨؛ مسند أحمد، ٢٠٧/١، بالموسوعة، ٢٨٠/٧.

خفضت[٢١٤٠] صوتك لما دخل العباس. فقال: إنَّ جِبْرِيلَ أَمَرَنِي أَنْ أَخْفِضَ صَوْتِي عِنْدَهُ، كَمَا أَمَرَكُم أَنْ تَخْفِضُوا أَصْوَاتَكُمْ عِنْدِي"[٢١٤١].

وفي الحديث، أن جبريل عليه السلام هبط على النبي -صلى الله عليه وسلم- [بـ]قباء وعمامة أسودان. فقال له: يَا أَخِي مَا هَذِهِ الصُّورَةُ الَّتِي مَا أَرَاكَ قَطُّ هَبَطْتَ عَلَيَّ في مِثْلِهَا؟" فقال: "هَذَا شِعَارُ وَلَدِ عَمِّكَ العَبَّاسِ، وَلَيَأْتِيَنَّ[٢١٤٢] عَلَى أُمَّتِكَ زَمَانٌ يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ الإِسْلَامَ بِهَذَا السَّوَادِ، وَسَيَمْلِكُونَ الأَبْيَضَ، وَالأَحْمَرَ، وَالأَصْفَرَ، وَالأَخْضَرَ، وَالحَجَرَ وَالمَدَرَ، وَالصَّفَا وَالمُنْحَدَرَ، وَالسَّرِيرَ وَالمِنْبَرَ، وَادْنُ بِنَا إِلَى المَحْشَرِ، وَالخِلَافَةُ إِلَى المِنْبَرِ، وَعَلَيْهِم تَقُومُ السَّاعَةُ[٢١٤٣]. والحمد لله الذي جتبى من هذه الدوحة العباسية، والشجرة الطيبة الهاشمية -التي أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ"[٢١٤٤]- إماما ألقى ولاءه ومحبه في القلوب والأوراع، واسترعاه، فوجد لأمته خير راع، وأوضح للناس من اعتقاد وجوب طاعته سننا قويما، وجعله كما قال عز من قائل: "وَكَانَ بِالمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا"[٢١٤٥] سيدنا ومولانا، إمام المسلمين، وخليفة الله في الأرض، ووارث الأنبياء والمرسلين، والمفترض الطاعة على الخلق أجمعين، المسنون بإيالته المقدسة على العالمين،

[٢١٤٠] د: "خفضت".

[٢١٤١] لم أقف على مصدر هذا الحديث.

[٢١٤٢] طرة في ك: "وليأتين على أمتك زمان يعز الله فيه الإسلام بهذا السواد، وسيملكون الأبيض، والأحمر، والأصفر، والأخضر، وعله زماننا هذا ولكن لله".

[٢١٤٣] لم أقف على مصدر هذا الحديث.

[٢١٤٤] سورة ١٤ (إبراهيم)، آية ٢٤ ك.

[٢١٤٥] سورة ٣٣ (الأحزاب)، آية ٤٣ م.

مولانا أبا جعفر منصور[٢١٤٦] المستنصر بالله، أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين -إمام تحلت جياد المنابر بجواهر شريف دعوته، وترصعت تيجان المآثر بلآلىء معدلته وحسن سيرته، ونزلت السكينة على العباد والبلاد بالسكون تحت وارف الظلال رافته[٢١٤٧] المقدسة ورحمته. فالناس وادعون في كنف عميم مكارمه وعواطفه، والخلائق راتعون في رياض جسيم مواهبه وعوارفه[٢١٤٨]. فأدام الله أيامه الزاهرة، دوما يخلق أثواب الأيام وهو جديد، وجعل دولته القاهرة مقرونة بالدوام والتخليد، إلى يوم الوعيد.

ولما[٢١٤٩] انتهى إلى علومه الشريفة -زادها الله شرفا [ك: ١٥١] وقدسا[٢١٥٠] ما عليه مجاهد / الدين، محمد بن يوسف بن هود، من سلوك سنن الطاعة، المؤسس بنيانها على تقوى من الله ورضوان، والتزام شروط الولاء الذي هو علامة متانة الدين وكمال الإيمان، والتصدي لمقارعة الناكبين[٢١٥١] عن محجة الهدى[٢١٥٢]، والتجرد لمرابطة من حاد عن السنة والإجماع الذي بهما يسترشد

[٢١٤٦] ك. د: "المنصور"، وكذا ستكرر أدناه، والتصويب من السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٤٦٠. وورد لقبه الثاني في د هكذا: "المنتصر".

[٢١٤٧] كذا في ك، د، ولعل الصواب: وارف ظلال رأيته، ليستقيم السياق والمعنى

[٢١٤٨] ك: "مواهب وعوارفه"، د: "جسم مواهبه وعوارفه"، ولعل الصواب ما أثبتنا.

[٢١٤٩] من هنا يظهر نص مخطوطنا عند ابن عذاري، البيان (ق. الموحدين)، تح. م. ا. الكتاني وآخرون، بيروت، الدار البيضاء، ط. ١، ١٩٨٥، ٢٩٤.

[٢١٥٠] ك: "وقوسا"، دون إعجام الثاني؛ د: "عرسا"؛ والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

[٢١٥١] ك: "الناكبين"، والتصويب من د.

[٢١٥٢] د: "الهوى".

ويهتدي، اقتضت آراؤه الشريفة المقدسة[١٥٣] النبوية، الإمامية الطاهرية الزكية، الممجدة، المعظمة، المكرمة، المستنصرة بالله -تعالى- زادها الله جلالا متألق[١٥٤] الأنوار، وشرفا رفيع الأقدار[١٥٥]، واقتدارا تجوب جياده جيوب الآفاق والأقطار، أن يقلده أمر جزيرة الأندلس، وما يجري معها من الولايات[١٥٦] والبلاد، ويسوغه ما يفتتحه من ممالك أهل [د: ٥٩ ب] الشرك والعناد، تقليدا / صحيحا شرعيا، وتسويغا صريحا إماميا، وإنعاما تضفو عليه لباس يحاره العصاص، وتصفو إليه موارد مواهبه النمرة الحياض. قد أمره صلوات الله عليه، بأوامر تهديه إلى سبيل الرشاد، وتحيطه[١٥٧] برضى الله الذي هو أنفع الدخائر في الدنيا ويوم سقوم الإشهاد، وما توفيق أمير المؤمنين < إلا بالله>[١٥٨]، عليه يتوكل، وإليه ينيب.

أمره أن يتدراع[١٥٩] شعار تقوى الله الذي [الأمو][١٦٠] خير لباس، ويستشعر حنيفية[١٦١] التي تجعل له، كما قال -عز وجل-: "وَجَعَلْنَا لَهُ

---

(١٥٣) "الشريفة المقدسة"، مكررة في د.

(١٥٤) ك، د: "سابق"؛ والتصويب من ابن عذاري، البيان (ق. الموحدين)، نفس المصدر والصفحة.

(١٥٥) ك، الانوار"؛ ابن عذاري، نفس المصدر والصفحة: "المنار"، والتصويب من د.

(١٥٦) د: "الولاية".

(١٥٧) ك، د: "وسحيطه"، دون إعجام الثاني؛ والتصويب من ابن عذاري، نفس المصدر والصفحة.

(١٥٨) ساقط من د.

(١٥٩) د: "يتضرع".

(١٦٠) زيادة من ابن عذاري، نفس المصدر والصفحة.

(١٦١) كذا في ك، د؛ ابن عذاري: "خيفته"، ولعل الصواب: الحنيفية.

نوراً يَمْشي به بَيْنَ النّاسِ"(٢١٦١). فإن تقوى الله هي المنجية من تزود مهاوي(٢١٦٢) الأثم والعصيان، والسبب الذي يعتصب به من كان من العناية الأزلية بمكان. قال الله تعالى: "وَتَزَوَّدُوا فإنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوى، واتَّقُونِ يا أُولِي الألْبابِ"(٢١٦٤). وأمره أن يجعل كتاب الله منارا يرجع إليه في كل المشكلات، ومصباحا يستضيء بمراشده(٢١٦٥) في الأحكام المشتبهات. فإن الفارق بين الحلال والحرام، والنور الساطع الذي يهتدي به من اتبع رضوانه- سبل السلام. قال تعالى: "ونَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيءٍ، وهُدى ورَحْمَةً وبُشْرى لِلْمُسْلِمينَ"(٢١٦٦). وأمره أن يعمل بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم- في مصادره وموارده، وبإجماع المسلمين في جميع مناحيه ومقاصده، فإن اتباع السنة يرشده إلى منهج الحق وسبيله، والإجماع يوضح له معاني كتاب الله -تعالى- وأحكام رسوله: وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ، وما نَهاكُمْ عَنْهُ فانْتَهُوا(٢١٦٧). وأمره أن يكثر من مجالسة العلماء، وأرباب الديانات الصلحاء، ومشاورة العقلاء الألباب. فإن مجالسة الفقهاء والعلماء، لقاح الخواطر.

(٢١٦١) سورة ٦ (الأنعام)، آية ١٢٢ م.

(٢١٦٢) د: "تزوها وفي".

(٢١٦٤) سورة ٢ (البقرة)، آية ١٩٧ م.

(٢١٦٥) ك: "بمراشدة"، والتصويب من د.

(٢١٦٦) سورة ١٦ (النحل)، آية ٨٩ ك.

(٢١٦٧) سورة ٥٩ (الحشر)، آية ٧ م.

ومعاشرة[٢١٦٨] الصالحين فيها رادع[٢١٦٩] عن اتباع الأهواء وزاجر، ومشاورة[٢١٧٠] الألباء تقدح زناد التوفيق في النواهي والأوامر. قال تعالى: "وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ"[٢١٧١]، الآية. وأمره أن يحسن السيرة في الرعية، ويسكنهم أرحب كنف من حنوه وشفقته[٢١٧٢]، ويساوي بينهم في مجلس نظره وحكومته، ولا يفرق في التفاته[٢١٧٣] بين القوي والضعيف، ولا يميز، فيما يقتضيه[٢١٧٤] العدل والإنصاف، بين المشروف والشريف، ويقوي يد الحكام على ما يوجبه الشرع ويقتضيه، ويأمرهم بإقامة القسطاس الذي يحبه الله ويرتضيه. قال الله تعالى: "إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُرَدُّوا[٢١٧٥] الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا، وَإِذَا حَكَمْتُمْ

[٢١٦٨] ك. د: "ومشاعرة"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

[٢١٦٩] د: "وادع".

[٢١٧٠] د: "ومساورة".

[٢١٧١] سورة ٣ (آل عمران)، آية ١٥٩هـ.

[٢١٧٢] ك. د: "جذره وشمعته"، والتصويب من ابن عذاري، البيان (ق. الموحدين)، نفس المصدر، ٢٩٥.

[٢١٧٣] ك. د: "التافته".

[٢١٧٤] ك: "يقبضيه": د: "يقصيه") والصواب ماأثبتنا.

[٢١٧٥] ك. د: "تودوا": والتصويب من م. ف. عبد الباقي، المعجم المفهرس للقرآن، دار الفكر، بيروت،١٤٠٧/ ١٩٧٨، ٧٦، مادة" يأمركم.

"بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ"[٢١٧٦]. وأمره أن يقتدي في[٢١٧٧] جميع أموره وتصرفاته، وحركاته وسكناته، [ك: ١٥٢] بما أمر الله به[٢١٧٨]، في كتابه الكريم المكنون، "الَّذِي لَا / يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ"[٢١٧٩]، من قوله عز وجل: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ"[٢١٨٠] الآية. وأمره أن يعتمد في مجاهدة الكفار[٢١٨١] الملاعين، وأحزاب الشيطان المشركين، ما أمر به في قوله عز وجل: "يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ"[٢١٨٢]، وقوله: "قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ، وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ"[٢١٨٣]، وقوله: "وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا"[٢١٨٤].

فليكن مجاهد الدين بهذه المراشد[٢١٨٥] مقتديا، ولمناهج أوامرها المطاعة مقتفيا، فإنه إذا اتبع هداها، وامتثل مراسمها واحتذاها، وتمسك بعصم

[٢١٧٦] سورة ٤ (النساء)، آية ٥٨ م.

[٢١٧٧] ك، د "من"، والتصويب من ابن عذاري، نفس المصدر والصفحة.

[٢١٧٨] ك، د: "فيه"، والتصويب من ابن عذاري، نفس المصدر والصفحة.

[٢١٧٩] سورة ٥٦ (الواقعة)، آية ٧٩ ك.

[٢١٨٠] سورة ١٦ (النحل)، آية ٩٠ ك.

[٢١٨١] محو في ك، والنقل من د.

[٢١٨٢] سورة ٩ (التوبة)، آية ٧٣ م.

[٢١٨٣] سبق الإشارة إليها في نفس السورة، آية ١٢٣ م.

[٢١٨٤] سورة ٢٩ (العنكبوت)، آية ٦٩ ك.

[٢١٨٥] ك: "المواشد"، والتصويب من د.

طاعة من أوجب[٢١٨٦] عليه وعلى الخلائق اعتقاد فروض[٢١٨٧] طاعته، وطوق أعناقهم بالتزام شروط موالاته وعبوديته، سيدنا [د: ٦٠ أ] ومولانا، خليفة الله في أرضه، والقائم بسنن[٢١٨٨] دينه / وفرضه، أبي جعفر منصور، المستنصر[٢١٨٩] بالله، أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين فازت قداحه، وتضاعفت[٢١٩٠] من أقسام السعادة الواهبة متاجره وأرباحه، فإن ذلك عند ذوي الديانات المتينة أحكم الأواصر، وأوثق العرى، والذخر[٢١٩١] النافع، الذي يجده كل موفق مسعود "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا"[٢١٩٢]، إن شاء الله -تعالى- [والسلام][٢١٩٣].

[رواية ابن عبد البر باختلاف الناس في أنساب البربر]

قال الفقيه، الحافظ، أبو عمر بن عبد البر، مؤلف "كتاب التمهيد"، في "كتاب الأنساب" له: اختلف الناس في أنساب البربر اختلافا كثيرا، وأثبت ما قيل

[٢١٨٦] ك، د: "أوجبه"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

[٢١٨٧] ك، د: "يفرض"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

[٢١٨٨] د: "بسنة".

[٢١٨٩] ك، د: "المنتصر"، ابن عذاري، نفس المصدر والصفحة: "المستظهر"، والصواب ما أثبتنا.

[٢١٩٠] ك، د: "وتضاعف"، والتصويب من ابن عذاري، نفس المصدر والصفحة.

[٢١٩١] ك، د: "المبتية احكام الأوامر وأوثق العرى والدخائر"، والتصويب من ابن عذاري، نفس المصدر والصفحة.

[٢١٩٢] سورة ٣ (آل عمران)، آية ٣٠ م.

[٢١٩٣] زيادة من ابن عذاري، نفس المصدر والصفحة.

فيهم أنهم من ولد قبط بن حام بن نوح صلى الله عليه وسلم وقال: إن قبط بن حام لما نزل مصر خرج ابنه يريد إلى[٢٠٩٤] ناحية المغرب فسكنوا من آخرة عمالة مصر -وذلك ما وراء برقة إلى البحر الأخضر مع بحر الأندلس- إلى منقطع الرمل، متصلين بالسودان. فمنهم لواتة بأرض طرابلس. نزل قوم بقربها وهم نفزة. ثم امتدت به الطرق إلى أرض القيروان وما وراءها إلى تاهرت، ثم إلى طنجة، وسجلماسة، إلى السوس الأقصى، وهم طوائف صنهاجة، وكتامة ودكالة، وحلاوة[٢٠٩٥]، وفطوناكة[٢٠٩٦] من هسكورة، ومصطاوة، وغيرهم. وقال أيضا: ادعت طوائف من البربر أنهم من ولد النعمان بن حمير بن سبأ. ونسب سبأ يرتفع إلى قحطان. وقال أيضا فيما حكاه عن علي بن عبد العزيز الجرجاني النساب: لا أعلم في البربر قولا يرد إلى الصحة إلا قول[٢٠٩٧] من قال إنهم من ولد جالوت.

ورأيت أنا في "كتاب الاستنداد" الحكيم: أن النعمان بن سبأ الحميري وهو ملك زمانه -وكان في الفترة بين النبي- صلى الله عليه وسلم وبين عيسى عليه السلام- دعا أولاده وأولاد أخيه، وقال لهم: تعطون لي منكم أربعة عشرة رجلا، أبعثهم إلى أرض المغرب يعمرونها. فقالوا: يا أبانا كيف نسير إلى أرض المغرب ونحن لا نعرف البلاد، ولا ندل الطريق إليها؟ فقال لهم: إن الله يريد أن يعمر بكم بلاد المغرب، ويظهر سلطانه فيكم، ويعمر تلكم البلاد والجبال والنواحي بكم، وبأولادكم وأحفادكم. وتكونوا أنتم كالشجرة، ومنكم تتفرع القبائل، ويظهر فيكم عجائب. وتكونوا أنصار الدين الإسلامي. فإن بعث هذا النبي الكريم

[٢٠٩٤] كذا في ك. د: ولعل اللفظ "إلى" زائد، فبحذفه لا يتغير المعنى.

[٢٠٩٥] ك. د. "وحلاوة"، دون إعجام الثاني.

[٢٠٩٦] د: "وفطوالة".

[٢٠٩٧] ك. د. "الأقوال"؛ والصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق والمعنى.

بالمغرب / كنتم أنصاره، وإن بعث بمكة، كنتم أتباعه. وكان عند النعمان علم بأن النبي -صلى الله عليه وسلم- سيبعث. قالوا: يا أبانا كيف نتبعوه ولم نروه؟ قال لهم: أنتم القوم الذين يأتيهم سواد في بياض ويصدقونه. ويومنون به [ك:١٥٣] وبرسالته. يجاهدون في الله حق / جهاده. قالوا: يا أبانا، والله لا خرجنا لك عن طوع. قال لهم أبوهم: منكم يخرج الحمديون[٢١٩٨] القائمون في آخر الزمان! ثم قال: أين[٢١٩٩] لمتت بن النعمان؟ فوقف بين يديه وهو أبو لمتونة. ثم قال: أين مَزْطاو[٢٢٠٠] فوقف بين يديه. وهو أبو مسكورة. ثم قال: أين أزناك؟ وهو أبو صنهاجة. ثم قال: أين مسفو؟ وهو أبو مسوفة[٢٢٠١] ثم قال: أين لمط؟ وهو أبو لمطة. ثم قال: أين أيلان؟ وهو أبو هيلانة. فوقف بين يديه فلم يزل يدعو واحدا بعد واحد، حتى وقفوا كلهم بين يديه. فقال لهم: خذوا في أهبة السفر، والخروج بأموالكم وأولادكم إلى المغرب فجدوا مسرعين إلى المغرب فنزل بعضهم بإفريقية، وبعضهم بجبل درن، وبعضهم بدرعة، وبعضهم بالسوس الأقصى. فنزل منهم مزطة[٢٢٠٢] تحت الجبل دون السوس إلى جانب البحر، فكثرت أولاده وهم الحيحيون. [ك: ٦٠ ب] وأما لمطة، فإنه نزل عند جزول وخطب له ابنته جزولة فتزوجها -وهي من البربر- فتناسلت أولاده، وهم: جزولة، قبيلة كبيرة. نسبوا إلى أمهم جزولة. ولمط ينسب للمطي[٢٢٠٣] بن النعمان الحميري.

[٢١٩٨] كذا في ك، د: ولعل الصواب: الحميريون.

[٢١٩٩] د: "ابن" وسيتكرر فيه هذا التصحيف بعد قليل أربع مرات.

[٢٢٠٠] د: "مزطاو".

[٢٢٠١] كذا في ك، د. ولعل الصواب: مسفوية، وهو المشهور.

[٢٢٠٢] كذا في ك، د: "ولعلها مزطة نسبة إلى مزطاو.

[٢٢٠٣] كذا في ك، د.

ونزل أيلان[٢٢٠٤] بأغمات هيلانة، ونزل أجانا أبو زناتة- بوادي شلف، ونزل مصمود بمقربة من طنجة، ونزل بنو ورتجين ومغراوة بأطراف إفريقية من جهة المغرب، وهذه القصة طويلة مبسوطة في "كتاب الاستذكار".

وذكر الحافظ، أبو محمد بن عبد البر بعضها في "كتاب الأنساب"، ونبه عليها وأنكرها أبو محمد بن حزم في "كتاب الجمهرة"، وأنكر انتساب البربر إلى حمير وإلى اليمن وإلى قيس عيلان وقال: ادعت طوائف من البربر الانتساب إلى حمير، وإلى قيس عيلان، وهذا كله باطل لا شك فيه. وما[٢٢٠٥] علم النسابون لقيس عيلان ابنا إسمه بر أصلا، ولا كان لحمير طريقا إلى بلاد البربر، إلا في تكاذيب مؤرخ اليمن، وهذا نص كلامه.

قصة المرتضى المرواني مع صنهاجة

واسمه عبد الرحمن بن محمد، من ولد أمير المؤمنين الناصر.

قال ابن حيان: كان المرتضى قد نصب خليفة بشرق الأندلس، فزحف بمن تألف معه من الجيوش والعساكر إلى غزو صنهاجة، وكانت غرناطة دار ملكهم، فلما قرب منها، كتب إلى أميرهم وشيخهم زاوي[٢٢٠٦] بن زيري بن مناد يدعوه إلى الطاعة، والدخول في الجماعة، فارتاعت لذلك صنهاجة، واضطربوا، فلاذوا بأميرهم زاوي، كبش[٢٢٠٧] الحروب، ومهون الكروب، فهون عليهم الخطب وقال

[٢٢٠٤] ك د: "بايلان"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

[٢٢٠٥] ك: "واما"، والتصويب من د.

[٢٢٠٦] د: "زاوي"، دون إعجام الأول والأخير، وستكرر بعد قليل.

[٢٢٠٧] كذا في ك، د، وابن بسام، الذخيرة، ٤٥٣/١/١، وابن عذاري، البيان، ١٢٥/٣، وابن الخطيب، الاحاطة، ٥١٤/١؛ ولعل الصواب، "ليث"، كما وردت أيضا عند ابن الخطيب أعمال، ق ٢٢٨/٢.

لكاتبه: أكتب له على ظهر كتابه: "قُلْ يَا أَيُّهَا الكَافِرُونَ"[٢٢٠٨]، إلى آخر السورة. لا تزدد[٢٢٠٩] فلما وصلت إلى المرتضى، أعاد عليه كتاب وعيد وتهديد، فلما قرئ على زاوي بن زيري، قال لكاتبه: أكتب له "أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ"[٢٢١٠]، لا تزده عليها. فازداد المرتضى غضبا، ويئس منه وناشبه إلى ٥٤٢] / القتال، فاقتتلوا أياما فهزم المرتضى وقتل. فحصلت صنهاجة من نهب محلته على ما لا كفاءة له اتساعا وكثرة. ظل الفارس منهم يجيء من اتباعه[٢٢١١] المنهزمين، ومعه العشرة الأبغل فما دونها، موفورة بمفاخر النهب ورفيع الثياب والحينة. وحازوا المحلة بجميع ما فيها. وسبق سلطانهم زاوي إلى سرداق الجائر المرتضى. فحازه بما حواه مما كان الأمراء جمعوا له وجمنوه به. وكان أمراؤه[٢٢١٢] والوجوه من عسكره قد تجملوا[٢٢١٣] وجاؤوا مجيء من لا يشك في الظفر. فساقوا[٢٢١٤] مع أنفسهم رفيع الحلية، كي يتباهوا بذلك في غرناطة وقرطبة، إذا دخلوها حتى أن كثيرا من التجار اغتروا بذلك الخائن[٢٢١٥] فصحبوه مبادرين مسرة الفتح. فخابوا وخسروا أموالهم.

قال ابن حيان: فحلت بهذه الوقعة على جماعة الأندلس مصيبة

[٢٢٠٨] سورة ١٠٩ (الكافرون)، آية ١ك.

[٢٢٠٩] ك، د: "تزوده"، وستتكرر أدناه، والتصويب من ابن بسام، نفس المصدر، ١/١/٤٠٤.

[٢٢١٠] سورة ١٠٢ (التكاثر)، آية ١ك.

[٢٢١١] ك، د: "اتباع"، والتصويب من ابن بسام، نفس المصدر والصفحة.

[٢٢١٢] ك: "امراه". والتصويب من د.

[٢٢١٣] ك، د: "تجملوه". والصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

[٢٢١٤] ك، د: "فيها قوا". والتصويب من ابن بسام، نفس المصدر والصفحة.

[٢٢١٥] كذا في ك، د، ابن بسام، نفس المصدر والصفحة: "الخاوي".

سوداء، أنست ما قبلها. وأقروا بالإدبار، وباؤوا بالصغار.

وورد على القاسم بن حمود بقرطبة كتاب زاوي بشرحها، مع نصيبه من الغنيمة، وفي جملتها سرادق المرتضى. فضرب به القاسم بن حمود على نهر قرطبة، وغشيه من النظارة جملة علية الناس، وقلوبهم تتقطع حسرة. فركدت[٢١٦] ريح المروانية في ذلك الوقت بقتل من نجم منهم بأطراف الأرض، وأيس الناس من دولتهم، وألوى الخمول[٢١٧] بحملتهم[٢١٨] فتقطعوا في البلاد، ودخلوا في غمار الناس، وامتهنوا[٢١٩] واستهينوا. ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[٢٢٠].

وكان مقتل المرتضى سنة تسع وأربعمائة.

قال أبو عبد الله ابن الحناط[٢٢١] يمدح القاسم بن حمود[٢٢٢] ويذكر هزيمة المرتضى:

---

[٢١٦] ك، د: "فذكرت": والتصويب من ابن بسام، الذخيرة، نفس المصدر، ٤٥٦.

[٢١٧] ك: "والوري الحقون": د: "والوري الحقوا": والتصويب من ابن بسام، الذخيرة، نفس المصدر والصفحة.

[٢١٨] ك: "يحملتهم": والتصويب من د.

[٢١٩] ك، د: "واندخلوا في عمار الناس، وامتسنوا"، والتصويب من ابن بسام، الذخيرة، نفس المصدر والصفحة.

[٢٢٠] سورة ٢١ (الأنبياء)، آية ٩٥ ك.

[٢٢١] ك، د: "الخطاب": والتصويب من ابن بسام، الذخيرة نفس المصدر والصفحة.

[٢٢٢] ك، د: "زاوي بن زيري": والتصويب من ابن بسام، الذخيرة، نفس المصدر، ٤٥٢: وابن عذاري، البيان، نفس المصدر، ١٢٩/٣.

[من الطويـــــل]

وَلَمّا دَعَا[٢٢٢٣] الشَّيْطَانُ فِي الخَيْلِ حِزْبَهُ
وَأَقْبَلَ حِزْبُ اللهِ فَوْقَ خُيُولِـــــهِ

[د: ٤١أ] كَتَائِبُ مِنْ صَنْهَاجَةٍ وَزُنَاتَـــةٍ
تَضَايَقْنَ فِي عَرْضِ الفَضَاءِ وَطُولِـــهِ

في قصيدة طويلة، ذكرها ابن حيان في تاريخه[٢٢٢٤] بكاملها[٢٢٢٥]، وتوفي زاوي بن زيري بمدينة القيروان، في ولاية ابن عمه المعز بن باديس[٢٢٢٦].

قلت، وأخبار هذا الداهية[٢٢٢٧] غريبة، وحروبه كثيرة، ومن أغربها أن المظفر، عبد الملك بن المنصور، بن أبي عامر، قلده وزارته[٢٢٢٨] وكتب له بذلك عهدا قرىء على الناس! فلما أعطي لزاوي أعرض عنه، ولم يقبله، وقال لرسول عبد الملك الذي حمله إليه خطتنا الإمارة لا الوزارة! وأقلامنا الرماح، وصحائفنا الأجساد! إحمل قرطاسك، لا حاجة لي به! فبلغ ذلك المظفر، فحقدها له، وقطع

(٢٢٢٣) ك. د: "ادعى". والتصويب من ابن بسام، الذخيرة، نفس المصدر، ٤٥٢؛ وابن عذاري، البيان، نفس المصدر، ١٣٠/٣.

(٢٢٢٤) ك. د: "تاريخها": والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

(٢٢٢٥) ك: "بكاملها"، والأصح من د.

(٢٢٢٦) ك. د: "بادس": والتصويب من ابن بسام، الذخيرة، نفس المصدر، ٤٥٨.

(٢٢٢٧) ك.د: "النافعة": والتصويب من ابن بسام، الذخيرة، نفس المصدر، ٤٦٠؛ وابن عذاري، البيان، نفس المصدر، ١٢٨/٣؛ وابن الخطيب، الإحاطة، نفس المصدر، ٥١٧/١، نقلا من ابن حيان.

(٢٢٢٨) سيرد اللفظ بعده في ك، د. هكذا: "الازارة".

عنه الجراية. فأخرج من ذخائرها أعلاقاً نفيسة[٢١٩]، وذخائر عظيمة القدر، فباعها، وأنفقها على قومه صنهاجة. وربما اشترى منها المظفر في خفية.

وذكر جماعة من المؤرخين، أنه كان يجلس بين زهاء ألف امرأة، هن من محرمات له[٢٢٠]، من <بناته>[٢٢١]، وبنات إخوته، وبناتهن. ورأيت خطه على ظهر نسخة خماسية الأجزاء من كتاب "الأنموذج"، وبصفه ملك لزاوي بن زيري بن مناد، وبخط يده، وكان حسن الخط. وحكي [ك: ١٥٥] عنه أنه يديم النظر في كتاب / "تيجان الملوك"، ولا يغب مطالعته. وإنما المرء حديث بعده، فكن حديثا حسنا لمن وعى.

[و] [٢٢٢] قال عبيدة بن قيس العقيلي، يذكر البربر، وينسبهم إلى بر بن قيس بن عيلان، من خبر طويل، وذلك في زمن هشام بن عبد الملك بن مروان:

[من الطويـــــــل]

ألا أيُّها السَّاعي لِفُرْقَةِ بَيْنِنا[٢٢٣]

فَقِفْ هَداكَ[٢٢٤] إنَّهُ مُسْبِلُ الأصَايِبِ

---

[٢١٩] د: "نفيحسة".

[٢٢٠] ك: "بين زها ألف امرأة هي من محرمات لك"؛ د: "بين وها ألف امرأة هي من محرات"؛ والتصويب من ابن بسام، الذخيرة، نفس المصدر والصفحة.

[٢٢١] كذا في ك، د؛ ساقط من ابن بسام، الذخيرة، نفس المصدر والصفحة؛ ابن عذاري، البيان، نفس المصدر، ١٢٨/٣.

[٢٢٢] زيادة من د.

[٢٢٣] عبد الرحمان بن خلدون، العبر، نفس المصدر، ١٢٤/٦: "بيتنا".

[٢٢٤] ك، د: "لا هداك"؛ ابن أبي زرع في القرطاس، الرباط، ١٩٧٢، ٢٨٠: "توخ هداك"، وفي الذخيرة السنية، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٢، ١٦: "ألا قف هداك"؛ ابن خلدون، العبر، نفس المصدر والصفحة، وأحمد الناصري، الاستقصا، تح. أ.ع. الناصري، الدار البيضاء، ١٩٥٤، ٥٥/١، وابن منصور، قبائل المغرب، المطبعة الملكية

فَأَقْسِمُ إنَّا والبَرَابِرُ إخْــوَةٌ

نَمَانَا وَهُمْ(٢٢٣٥) جَدٌّ كَرِيمُ المَنَاصِبِ(٢٢٣٦)

أبُونَا أبُوهُمْ(٢٢٣٧) قَيْسُ عيلان في الذرى

وَفِي حومة(٢٢٣٨) تشفي غَلِيلَ المَحَارِبِ(٢٢٣٩)

فَنَحْنُ وَهُمْ رُكْنٌ مَنِيعٌ وإخْــوَةٌ

عَلَى رَغْمِ أعْدَاءٍ لِئَامِ المَنَاقِــبِ

فإنَّا(٢٢٤٠) لبن <ما>(٢٢٤١) بقي الناس، ناصر

بالربط، ١٩٦٨، ٢٩٩/١: "توقف هذاك"، ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم الوزن.

(٢٢٣٥) ك، د: "نماما وهو"؛ والتصويب من ابن أبي زرع، في القرطاس، نفس المصدر والصفحة، وفي الذخيرة السنية، نفس المصدر والصفحة، وابن منصور، قبائل، نفس المصدر والصفحة.

(٢٢٣٦) ابن أبي زرع، في الذخيرة السنية، نفس المصدر والصفحة: "المذاهب"، وفي القرطاس، نفس المصدر والصفحة، والناصري، الاستقصا، نفس المصدر والصفحة، وابن منصور، قبائل، نفس المصدر والصفحة: "المناسب".

(٢٢٣٧) ك، د: "أبونا أبو قيس بن"، والتصويب من ابن أبي زرع، في القرطاس، نفس المصدر والصفحة، وفي الذخيرة السنية، نفس المصدر والصفحة. وابن خلدون، العبر، نفس المصدر والصفحة، والناصري، الاستقصا، نفس المصدر، ٥٢، ابن منصور، قبائل، نفس المصدر والصفحة.

(٢٢٣٨) ك، د: "وفي حرمة"؛ ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، نفس المصدر والصفحة: "لهم حرمة"؛ الناصري الاستقصا، نفس المصدر والصفحة: "له حرمة"، والتصويب من ابن أبي زرع، القرطاس، نفس المصدر والصفحة، وابن خلدون، العبر، نفس المصدر والصفحة، وابن منصور، قبائل، نفس المصدر والصفحة.

(٢٢٣٩) ك، د: "كثير المحارب"؛ والتصويب من نفس المصادر والصفحات السابقة.

(٢٢٤٠) ابن خلدون، نفس المصدر والصفحة، وابن منصور، قبائل، نفس المصدر والصفحة: "فإن".

(٢٢٤١) ساقط من د.

وبَرٌ لنا[٢٢٤٢] ركنٌ منيع[٢٢٤٣] المناكـــب
تَعدُّ لِمَنْ عَادَى سَوَابِقَ ضُمَّــرا
وبيضاً تَقُدُّ الهَامَ يَوْمَ التَّضَارُبِ[٢٢٤٤]
وَبَرُّ بن قَيْسٍ عُصْبَةٌ مُضَرِيَّــة
وفي الفَرْعِ[٢٢٤٥] مِنْ أحْسَابِهَا والذوائبِ
وَقَيْسُ قِوَامُ الدِّينِ في كُلِّ بَلْدَة
وَخَيْرُ مَعَدٍّ عِنْدَ حِفْظ[٢٢٤٦] المَنَاسِــب
وَقَيْسٌ لَنَا المَجْدُ الذي يُقتدي به
وَقَيْسٌ لنا سَيْفٌ حديدُ[٢٢٤٧] المضارِبِ

وقال -أيضاً- يزيد بن خالد العبسي، يمدح البربر، وينسبهم إلى قيس من

[٢٢٤٢] ك: "وبولنا"، د: "وبوانا"؛ والتصويب من ابن خلدون، العبر، نفس المصدر والصفحة، وابن منصور، قبائل، نفس المصدر والصفحة.

[٢٢٤٣] ابن منصور، قبائل، نفس المصدر والصفحة: "رفيع".

[٢٢٤٤] ك، د:
"يعدو لمن عادوا شوارب ضمرا
وبيضا نقد الهماه يوم التضـــارب"؛
ابن خلدون، العبر، نفس المصدر والصفحة:
"تعد لمن عدى شوادق حمـــرا
وبيضا تقص الهمام يوم النضـارب"؛
والتصويب من ابن منصور، نفس المصدر، ٣٠٠.

[٢٢٤٥] د: "مصرية وفي الفزع".

[٢٢٤٦] ك، د: "مقعد عند حفض"؛ والتصويب من ابن خلدون، العبر، نفس المصدر والصفحة، وابن منصور، قبائل، نفس المصدر والصفحة.

[٢٢٤٧] ك: "حربو"، د: "حروب"؛ والتصويب من ابن خلدون، نفس المصدر والصفحة، وابن منصور، قبائل، نفس المصدر والصفحة.

شعر له . وقد نفي أبو محمد بن حزم [كون][٢٢٤٨] البربر من قيس عيلان، وأنكر نسبهم إليه، وزعم أنه ليس لقيس عيلان ولد اسمه بر-:

[من الرمل]

أيُّها السائلُ عنْ أحسابنا
قيسُ عيلانَ بنُو العِزِّ الأوَّلْ
نحنُ، ما نحنُ! بنو بر النَّدى
طاردُ الأزمة نحّارُ الإبلْ
وبنُو بَر بن عيلان الَّذي
عرفَ المجدَ، وفي المجد دخلْ
منْ يَرِدْ ى سالف المجد علا
ويَرودا واكتسى منها حللْ
وابتنى المجدَ وأورى زنده
وكفانا كل خطب ذي جللْ
[د: ٦١ ب] إنَّ قيساً يعتزي بر لها
ولبر يعتزي قيسُ الأجلْ
ولنا الفخرُ بقيس إنه
جدُّنا الأكبرُ فكنّا الكبلْ
إنَّ قيساً، قيسَ عيلانَ [هم]
معدنُ الحقِّ على الخبر دلْ
حسبُكَ البربرُ قومي إنهم
ملكوا الأرضَ بأطراف الأسلْ
وببيض تضربُ الهامَ بها

[٢٢٤٨] زيادة ليستقيم السياق.

هامَ مَنْ كانَ عَلَى الحَقِّ نَكَلْ

أَبْلِغُوا البَرْبَرَ عَنِّي مِدَحاً

حِيكَ مِنْ جَوْهَرِ شِعْرٍ مُنْتَخَلْ

بسم الله الرحمن الرحيم [و] صلى[٣٤٤٩] الله على سيدنا محمد الكريم، وآله وصحبه وسلم تسليما[٣٤٥٠].

[ت:١٥٦] قصة المهدي المرواني مع البربر

واسمه محمد بن هشام بن عبد الجبار، بن أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر، بن محمد بن عبد الله، بن محمد بن عبد الرحمن، بن الحكم، بن هشام بن عبد الرحمن، بن معاوية، بن هشام، بن عبد الملك بن مروان القرشي الأموي.

قال ابن حيان: لما بويع محمد بن هشام بن عبد الجبار، الملقب بالمهدي، وسلم عليه بالخلافة، <ثار عليه ابن عمه سليمان ابن الحكم، الملقب بالمستعين، ونازعه باسم[٣٤٥١] الخلافة>[٣٤٥٢]، وحاربه. وكان أكثر عسكر المستعين البربر، وعسكر المهدي النصارى. فلما تقاتلا، انهزم المستعين، وهرب إلى شاطبة، وتخلفت عنه البربر وهربت إلى قرطبة. وكانت دار ملك المستعين، وطليطلة دار ملك المهدي. وكانت المقابلة بينهما بموضع يعرف بعقبة البقر، بمقربة من قرطبة. وذلك في شوال من عام أربعمائة.

[٣٤٤٩] زيادة من د.

[٣٤٥٠] د: "وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه".

[٣٤٥١] كذا في ت. ولعل الصواب: اسم.

[٣٤٥٢] ساقط من د.

قال عبد الرحمن بن عون الله في مختصره لتاريخ ابن حيان: حكى سعيد المرابط قال: لما انهزمنا من عقبة البقر، ووصلنا إلى قرطبة لنحمل عيالنا وأهلينا، استعجلنا الخروج منها، وخرجنا مع ذلك من باب واحد، لقينا من الازدحام عليه برحا من الضيق والصعوبة، وهلك من عيالنا وضعيفنا في ضغطة[٢٢٥٣] الخروج وشدة الهرب، لفرط المخافة خلق كثير لم تكن بهم نهضة، وعبرنا النهر أسفل الزهراء، وهو كبير ففقدنا فيه من عيالنا وأمنائنا وأتباعنا خلقا، وانتهى البرابرة على هذا الحال، فتدامروا على إنهاض العيال، وعيال المتخلفين[٢٢٥٤] عنهم فبسطوا أيديهم بالغارة [على] الحاضرة وقراها، وهي يومئذ مشحونة بالدواب والأقوات والأمتعة، فأخذوا كل ما أصابوه فيها من دابة، وحملوا العيال والضعفاء والتراية عليها، واستقبلوا نحو الساحل حيارى يحسبون كل صيحة عليهم. أعظم أملهم أن يؤمنوا على أنفسهم وأهليهم، ويحطوا المراكب، وينصرفوا إلى بلدهم. فلما وردوا وادي أرّه، كان من عجائب الإتفاق، أن صادفوا الخيل التي[٢٢٥٥] انفذها القاسم بن حمود وحروور[٢٢٥٦]، رسولا سليمان إلى العدوة، قد جوزوا إلى الأندلس من العدوة، خيل الشراء[٢٢٥٧] وهدية الأمراء وخيل التجار، وكانت جملة وافرة أخذوها كلها وبريء إليهم التجار بما كان معهم منها، يأسا عن[٢٢٥٨] الحياة، عندما سمعوا باتباع المهدي لهم في جموعه العظيمة، فحسن موقعها

[٢٢٥٣] ك: "ضغطة"، د: "ضغضه"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

[٢٢٥٤] ك، د: "المختلفين"، ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

[٢٢٥٥] د: "الذي".

[٢٢٥٦] كذا في ك، د، ولعلها: وأخوه.

[٢٢٥٧] د: "السراء".

[٢٢٥٨] د: "عند".

منهم، وحملوا عليها مرتجليهم[٢٢٥٩] [د: ٦٢ أ] واعترضوا فرسانهم في خفية /. فأصابوهم نحو ألف فارس. ولم يجاوز[و]ه البتة. قال: ولحق بنا المهدي في جموعه. فنزل إزاءنا، بيننا وبينه النهر. فلما نظرنا إلى كثرة جموعه وتكركرها في النزول، أيسنا من الحياة واستقتلنا، وطابت بالموت أنفسنا، دون أن نعاين سبي حرمنا[٢٢٦٠]. وعمدنا إليهن في الوقت، فاستندناهن ورحالنا إلى جبلين وعرين، مشرفين بالناحية، وتعبينا للقتال بكل جهة. ووقفنا نلاحظ نزول القوم [إ]زاءنا. فعولج رفع مضرب المهدي مرتين. كلما [ك: ١٥٧] أقيم سقط. فتطير / له البرابرة بذلك، واستبشروا بتكويه. وسمع المهدي ضجيج نسائنا وصبياننا إلى الله عز وجل، واستغاثتهم لما عاينوه. فكأنه أشفق عليهم وقال للحاجب واضح: فيما بلغنا، ما ترى في مراسلة هؤلاء القوم؟ تعرض عليهم الرجوع إلى الطاعة خوفا من أن يصطلموا[٢٢٦١] فتستأسر علينا هذه الطاغية[٢٢٦٢] ؟ فأنكر ذلك عليه [قائلا]: الآن! إذ لم يبق منهم إلا هذه الشرذمة، تريد البقاء[٢٢٦٣] عليهم؟! إلا والله ولا كرامة ودس إلى القومس ومنذر بن بزيل، أن السلطان ينوي الغدر ! فلم يتملك عدو الله أن تقدم للحرب قبل إقامة التعبئة، واقتحم الوادي إلينا في جمعه العرمرم، فرأيناهم والله قد أخرجوا الماء في صدور خيلهم لازدحامها واقوتها فاستقبلهم حماة القوم وعامتهم بنو برزال، وقد تناهت خيلهم أربع مائة فارس.

[٢٢٥٩] ك. د: "مرتجيلهم"؛ والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

[٢٢٦٠] طرة في ك: "فائدة: قال الشيخ زروو [زروق ؟] : من خاف على زوجته الناحشة فليضع يده على رقبتها، ويقرأ هذا الإسم الكريم للحفظ من الفاحشة، وهو:
يا رقيب ج مرات. ثم يقول: "اللَّه خَيْرٌ حِفْظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين"، فإن الله يحفظها من الفاحشة، انتهى.

[٢٢٦١] ك: "يصطلموا"، والتصويب من د.

[٢٢٦٢] كذا في ك. د؛ ولعل الصواب: فيستأسد علينا هذا الطاغية.

[٢٢٦٣] ك، د: "البقا"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى

وصنهاجة معهم في مقدار مائة وخمسين فارسا. إلا أنهم وأصحابهم[٢٢٦٤] كانوا، يومئذ، أعظم الجماعة عناء، وأكرمهم مقاما، وكل القوم لم يأل[٢٢٦٥] جهدا. وأقيم المغاربة منا بإزاء سابور ومن كان معه في الجبل الذي أخذه علينا. واستحر القتل، فقتل من وجوه بني برزال في الكبة[٢٢٦٦] بضعة عشر رجلا، ومن صنهاجة نفر [...][٢٢٦٧] صدمتهم، فتكنفتهم البرابر يلتافيهم[٢٢٦٨] من كل ناحية، يخطفونهم ويخطبونهم[٢٢٦٩] فلا يحيك الحديد فيهم إلا أن ناداهم بعض شيوخهم بالبربرية: الخيل، الخيل! فاتكؤوا بالرماح على خيول الكفرة فنكسوهم[٢٢٧٠] وردوهم على الأعقاب، بعد أن قتل منهم في تلك الورطة [ما] نيف على ثلاثة مائة فارس. واق[ت]حموا النهر على مخاضه، فغرق منهم خلق كثير! واستمرت الهزيمة، وأقصر جند ابن عبد الجبار مع ذلك عن القتال، رغبة في كسر الفرنجة، وبدا لنا ذلك من أكثرهم، فما رقد الكفرة إلا بليق[٢٢٧١] غلام واضح في طائفة معه، فقتل في الحومة، وألوت بسائر الناس الهزيمة. فلم يلو أحد على أحد. وغنم البرابرة المحلة بأسرها، وسرادق المهدي وبيت ماله، وغنموا محلة الإفرنجة بأسرها، وحصلوا على ما [لا] تقدر قيمته. وطعن فارسهم أبو يداس في الحرب

[٢٢٦٤] ك، د. "وصاحبهم"، ولعل الصواب ما أثبتنا.

[٢٢٦٥] ك، د: "يأتل"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق.

[٢٢٦٦] د: "الكعبة".

[٢٢٦٧] بياض في ك، د بمقدار سطر.

[٢٢٦٨] كذا في ك، د، ولعل الصواب، يلتفون بهم.

[٢٢٦٩] كذا في ك، د، ولعل الصواب: يحطبونهم.

[٢٢٧٠] ك، د: "فنكوسهم"، وصوّبت في هامش ك بيد أخرى.

[٢٢٧١] ك، د: "بلين"، والتصويب من ابن عذاري، البيان، نفس المصدر، ٨٦/٢.

بعد بلاء عظيم كان منه، فحزنت له جماعة البرابرة، ثم هلك، فدفنه البرابر هناك، وأخفوا قبره، وعند ذلك أقبلوا نحو قرطبة. انتهى قول سعيد المرابط.

وذكر عن زيري بن مرين(٢٢٧٢) في بعض ما حكاه عنه في هذه الوقعة. قال: وخاض الغنم لنا، فحزنا منه ما لا يقدر قدره فما أمسى منا فقيرا تلك الليلة على مال، وحصلنا على الكراع والسلاح، والعدة والخيام والمضارب والأمتعة. فتمولنا ووضعنا سوق المغنم أياما، فاشترى من عنده نقدا ما شاء من كل رغيبة، تفوق القيمة رفعة، بأوكس ثمن(٢٢٧٣) [د: ٦٢ ب] فأذكر أني إشتريت من قوم من الرجالة قطعة(٢٢٧٤) ثياب / نفيسة محلوبة(٢٢٧٥) لها شأن، بدنانير ثلاثة أو نحوها -كان أقل ثمنها في الحضر [ك:١٥٨] أعدادها عشرات- / بعد أن أريتهم(٢٢٧٦) زهدي في الصفقة، فطيبوها لي بلجام حلي أندلسي، يعرف عندهم بالعقدة، حيلته فضة خالصة، قيمتها فوق جميع ثمن الصفقة. وجرت لعمري أحاديث عجيبة!

قال ابن(٢٢٧٧) حيان: وحكى لي رجل يعرفني من أهل رندة، ذاكرته في

(٢٢٧٢) كذا في ك، د. ولعلها: مناد.

(٢٢٧٣) طرة في ك بيد أخرى: "للفظ. الحمد لله، ومن المواهب القدسية في المناقب السوسية، أن من قرأ هذا الذكر مائة مرات، ونوى حفظ إقليم فإنه يحفظه، وهو هذا: اللهم لك الحمد بكل شيء تحب أن تحمد به، على كل شيء تحب أن تحمد عليه. اللهم لك الشكر بكل شيء تحب أن تشكر به، على كل شيء تحب أن تشكر عليه، حمدا وشكرا دائمين بدوامك عدد ما علمت، وملء ما علمت، ومداد كلماتك، وأضعاف أضعاف ذلك. اللهم لك الحمد ولك الشكر بذلك على كل ذلك كذلك. انتهى".

(٢٢٧٤) ك: "قطعه"، والصواب من د.

(٢٢٧٥) ك، د: "بحلوبه"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى.

(٢٢٧٦) ك، د: "أرينهم"، والصواب ما أثبتنا ليستقيم السياق والمعنى.

(٢٢٧٧) ك: "بن"، د: "أبو"، والصواب ما أثبتنا.

قرطبة خبر هذه الوقعة، قال: ولقد كنت أرى البربرية منهن قد اقتطعت الرجل الضخم الكبير، من المسلمين أو من النصارى، بما يحويه من كراع وسلاح، وزاد ومتاع. تضم ذيلها عليه فلا تهاج[٢٢٧٨]. ويجوز الفارس الثلاثين دابة، وفوقها ودونها، فلا يساهم[٢٢٧٩] فيها، وكذلك الخيام والأمتعة. ولقد سبق زيري بن بريق[٢٢٨٠] ايفرني ورجلان معه من بني عمه، إلى مضرب المهدي - وكانوا أول الناس- فهتكوه، وسبقوا إلى جوالق مال، فيهـ[ـا] عشرون ألف مثقال، اقتسموها بينهم. فشهر فيما بعد بالثراء والمكانة[٢٢٨١].

وكان من عجائب الضراب "يوم أره"، المتحدث عنه في الآفاق إلى اليوم، ثلاث ضربات، ما سمع بمثلها في الدهر مضاء سيوف، وقوة سواعد. منها ضربة أبي زوبلت [...][٢٢٨٢] البيضة التي حملت إلى مدينة برشلونة التي <وضعتها الإفرنجة في الكنيسة هناك، اعتبارا ومعذرة وضربة حباسة بن ماكسن الصنهـا>جي[٢٢٨٣] [طعنت] فارسا آخر منهم، [له] درع حصينة ثقيلة، فهتكت الزرد وقدته، وقدت جنب لابسه، فجدلته. وضربة بهلول بن تمذيت[٢٢٨٤] الحمري - أخو بني تريد بي الذي رأس بعد قومه[٢٢٨٥]- لخطم فرس علج منهم، ففصلت

[٢٢٧٨] كذا في ك، د: ولعلها تهاب.

[٢٢٧٩] كذا في ك، د: ولعل الصواب: يساوم.

[٢٢٨٠] كذا في ك، د، ولعل الصواب: "مرين" كما وردت أعلاه، أو مناد كما أشرنا.

[٢٢٨١] ك، د: "مكانهم": ولعل الصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى والسياق.

[٢٢٨٢] بياض بمقدار يزيد على سطر.

[٢٢٨٣] ساقط من د.

[٢٢٨٤] د: "تابت".

[٢٢٨٥] كذا في ك، د. وهي عبارة مضطربة لم يتبين لي وجهها.

حديدتي اللحام ولحية الفرس جميعا ورمت بخطمه[٢٢٨٦] وما تكنفه من الحديد ناحية، وخر الفرس لفيه. فصارت هذه الضربات أعجوبة عند الناس!

وحكى [ابن] حيان عن جماعة البرابر، ذاكرهم خبر هذه <الوقعة، فذكروا أن الذي جزوه في هذه الوقعة من رؤوس أعداء الله الكفرة خاصة، إثر انهزامهم>[٢٢٨٧] ألف رأس وثلاث مائة رأس، سوى الغرقى منهم في النهر، وكانوا خلقا كثيرا.

وذكر عن أبي تمام بن مهرية[٢٢٨٨] أنه سأل عبد الرحمن بن هشام بن سليمان العراقي ابن عم سليمان المستعين، عند اجتماعه به بقرطبة، عن تلك الورطة التي تورطها[٢٢٨٩] النصاري مع البرابر وكان هو شاهدها معهم، لانحيازه من الوقعة بالعقبة في جملتهم. فوصف له من شدتها عظيما، وإن الحرب انتقلت بينهم. فلم يقدر بعضهم [أن] يتخلص من بعض حتى تراطنت البرابر بينهما بالإفراج لهم. فولت الإفرنجة والسيوف ترهقهم فترددوا في النهر على رؤوسهم، وغرق منهم فيه خلق عظيم. فلم يزل محلتنا لأهل تلك البلاد سنين كثيرة. قال جمع البرابر رؤوس من قتلوه في هذا الماء قط بحضرتي[٢٢٩٠] معدودة، وانتهت إلى ألف وخمسمائة وزيادة، ومر أهل الإنضياف من المسلمين لحزب الفرنجة. فقد كانوا، من استخفافهم بالإسلام ووعيدهم إياهم، على حال غليظة، كنا نقدر أن لو ظفروا بالبرابر، لم يرفعوا سيفا على المسلمين، [ك: ١٥٩] ولأخرجوهم من

(٢٢٨٦) د: "بخطه".

(٢٢٨٧) ساقط من د.

(٢٢٨٨) سترد بعد قليل في ك، د: "مسوية".

(٢٢٨٩) د: "الروطة التي تروطها".

(٢٢٩٠) ك: "بحصرتي"، والتصويب من د.

الجزيرة، والله عز وجل أعلم[٢٢٩١]. / وذكر [ابن] حيان عن أبي تمام بن مسوية[٢٢٩٢]: أن[٢٢٩٣] الإفرنجة كان اعتراضهم بقرطبة -عند خروجهم إلى البرابر، إلى وادي[٢٢٩٤] أره- تسعة آلاف وخمسمائة فارس، وبضعة عشر فارسا، وإنهم لما انصرفوا من واد[ي] أره، أعترضوا ثانية عند [د: ٦٢أ] دخولهم قرطبة، / فكانوا في خمسة آلاف وخمسمائة والبضعة الزائدة. فكان القتلى والغرقى منهم أربعة آلاف فارس، والله أعلم.

انتهى ما لخص من هذه القصة، ومن تشوف إلى مطالعتها بكاملها، فلينظر في كتاب "المقتبس" لابن حيان رحمه الله والمسلمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله[٢٢٩٥] وسلم تسليما، إلى يوم الدين.

[٢٢٩١] طرة في ك: [من البسيط]

"إن الحبيب من الأحباب مختلس
لا يدفع الموت بواب ولا حرس
فكيف يفرح بالدنيا وزينتها
من عد فيها عليها[كذا،والصواب: عليه] اللفظ والنفس"

[٢٢٩٢] وردت قبل قليل في ك، د: "مهرية".

[٢٢٩٣] ك، د: "أي". والصواب ما أثبتنا ليستقيم المعنى والسياق.

[٢٢٩٤] ك: "واد". والتصويب من د.

[٢٢٩٥] د: "سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه".